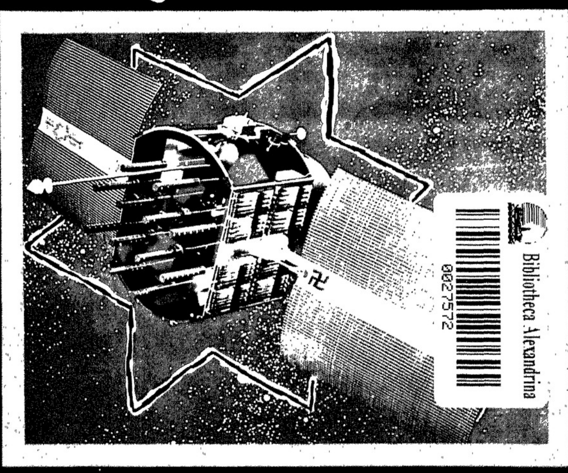


حرب الفضاء ونظرية الأمن الإسرائيلي

د. علاء طاهر



حرب الفضاء
ونظرية الأمن الإسرائيلي

الطبعة الأولى : ـ سبتمبر ١٩٩١

الناشر

الصلاح للدراسات الاستراتيجية والإنتاج الإعلامى

ص . ب ٢٣ ـ ٨٠٠٧٥٠ باريس ـ سديكس ٨

الموزع

المكتب العربى للمعارف

٢٣ « أ » شارع الأمام على ـ ميدان الأسماعيلية ـ مصر الجديدة

ت ـ ٢٩٠٠٣٢٣

د . علاء طاهر

باحث بمركز البحوث الاستراتيجية
بجامعة السربون ـ باريس

حَربُ الفضاء
ونظريّة الأمن الإسرائيلي

الناشر
الصلاح للدراسات الاستراتيجية والإنتاج الإعلامى

تقديم

يضم هذا الكتاب أربعة بحوث تتناول موضوعات استراتيچية وعسكرية معاصرة ، قد تختلف فى تخصصاتها أو فى المسائل التى تعالجها ، لكنها فى النهاية تقترب بشكل أو بآخر من موضوع الصراع العربى – الإسرائيلى ، وذلك فى ضوء التطور المنهجى – التقنى الذى بلغته العلوم الاستراتيچية المعاصرة .

تُبرزُ هذه البحوث المتغيرات المستجدة فى ميدان الاستراتيچية العسكرية الحديثة ، وذلك فى المجالات التى يبحثها كل منها دون الامتداد إلى موضوعات عامة أخرى .

يتناول المبحث الأول البعد النظرى – المفهومى فى تحديد المضامين التقنية لمصطلحات جديدة فى العلم الاستراتيچى المعاصر . فعلى الرغم من وجود مفاهيم استراتيچية مُتداولة داخل الكتابات العربية الحديثة ، لم تتكون لحد الآن التراكمات التقنية التى تمخضت عن تداخل العلم الاستراتيچى مع العلوم الإنسانية الأخرى مواكبة تطورها المنهجى والدلالى .

يتضمن المبحث الأول كذلك ، إعادة تحديد لمفهوم «الاستراتيچية» نفسه متطرقاً إلى كل الأبعاد التى يتضمنها هذا المفهوم ومستجداته المتوازية فى حركيتها التطورية مع العلوم العسكرية ، وتصاعد قدرتها التقنية . كما ينطوى التحديد الجديد على إبراز المحتوى العام للمفهوم من حيث كونه فعلاً ديناميا داخل عملية التفكير وداخل التناسق النظرى لمراحلها .

تنبثق ضرورة هذا التحديد التخصصى للمفهوم من كون مفردة «استراتيچية» قد غدت فى السنوات الأخيرة ذات حضور عام ومتشعب داخل الأدبيات السياسية السائدة فى الوطن العربى علاوة على سيادتها فى الخطاب السياسى الشفهى واستخدامها بشكل يلتزم جزئيا بالدقة الدلالية للمفهوم أو لا يلتزم بها البتة بحيث تغدو المفردة محض كلمة هلامية

داخل سياق عام لنص سياسي مباشر . كما أن استخدامها قد طال نواحي أخرى تخرج عن ميدان الاستخدام الاستراتيچي العسكرى لها .

يسعى المبحث الأول أيضا إلى تحديد مفاهيم مستجدة فى علم الاستراتيچيا المعاصرة ، وخاصة تلك المفردات التقنية التى نشأت نتيجة لتداخل العلوم الاستراتيچية مع العلوم الاجتماعية والفلسفية الأخرى والتى أخذت تحضر بكثافة الأبحاث الاستراتيچية المكتوبة باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية ، إلا أن هذه المفاهيم لم تدخل بعد إلى ميدان التداول فى اللغة العربية بسبب تخلف المنظور المنهجى للأبحاث الاستراتيچية فى الوطن العربى بحيث بقيت مقتصرة على الميدان العسكرى المحض أو على مجال العلاقات الدولية دون اكتساب حصيلة نظرية من الأحداث الجارية على أرضية الواقع .

أما المبحث الثانى فيهدف إلى إبراز الأسس التى تقوم عليها نظرية الأمن القومى الإسرائيلى كما تجسدها التطبيقات العملية لها ، فالمحاور المتحكمة بصلابة هذه النظرية تنبثق من دقة الوعى الحسابى وواقعيته عند القيادة العسكرية السياسية الإسرائيلية . إن معتقد الأمن القومى الإسرائيلى يقوم على إدراك ذى تعددية شمولية لكل مناحى الخطر المتأتية من الخصم (البلدان العربية) ، إضافة إلى الوعى بالمتطلبات التى تفرزها حركية التطور التقنى السريع فى العالم .

فى المقابل ، ولمعرفة مديات القدرة العربية على تحديد استراتيچية لها ومقومات هذه الاستراتيچية ، ترد الدراسة الخاصة بـ (مبادىء الاستراتيچية العربية) كما يراها عالم استراتيچى غربى هو جان بول شارنيه فيقدم لها تقويماً على قدر كبير من الدقة إذ لا ينطلق فقط من اللحظة الراهنة بل يمتد إلى العمق التاريخى والدينى للوطن العربى بهدف استخلاص مقدمات أولية لاستراتيچيته الراهنة . وتطرح هذه الدراسة السابقة حافزا للمقارنة بين طرفى الصراع العربى الاسرائيلى .

أما الدراسة الخاصة بالحرب الفضائية فهى علاوة على إبرازها للمستويات التقنية العالية التى وصلت إليها الحرب الحديثة بحيث باتت تقارب قصص الخيال العلمى ، فإنها تكتسب أهمية خاصة داخل موضوع الصراع العربى الإسرائيلى وذلك من خلال إعلان

إسرائيل عن دخولها فى مشروع ريغان المسمى (مبادرة الدفاع الاستراتيچى) ، والذى اشتهر صحافياً باسم (حرب النجوم) . إن هذه الخطوة تبرز أن إسرائيل هى أساساً قوة نووية وحيدة فى الشرق الأوسط ، لكنها لا تقف فى تقنيتها العسكرية عند النطاق النووى فقط ، بل تتطلع إلى تقنية عسكرية متقدمة جدا بلغت أعلى مراحل تطورها التكنولوچى العسكرى فى (حرب النجوم) . ففى الدراسة الخاصة بالحرب الفضائية تبرز الحدود القصوى لرقى تكنولوچيا الأسلحة الاستراتيچية والتطور المذهل الذى بلغته ... هذا التطور المحكوم بسيطرة آلية ذات قدرة عالية . ويلقى هذا البحث الضوء بشكل تطبيقى على مفهوم (المعتقد الاستراتيچى) فى أوضح حالات ارتباطه بالتقنية الفضائية وبالميزانية الاقتصادية الضخمة التى تحتمها أية تغييرات فى القدرة التكنولوچية للسلاح الاستراتيچى المعتمد من قبل دولة ما .

د . علاء طاهر

الفصل الأول

مفاهيم استراتيجية

١ ـ مفهوم الاستراتيچية

« المنطلق العام والتطورات الحديثة »

الاستراتيچية فى مفهومها العام هى فعالية شمولية من التفكير النظرى الذى يتوخى بلوغ هدف محدد أو غاية ما ، وهذا التفكير يتطور فى مساره لأجل بلوغ هذه الغاية ، فيتمخض عن نسق متراتب لمجموعة من الأفكار المرحلية الشديدة الترابط فى تدرجها الاقترابى نحو هدفها ، وإن مجموعة الأفكار هذه تغدو – بفضل تداخلها التكاملى المنبثق عن توجهها المشترك نحو هدف نهائى واحد – منظومة فكرية متماسكة لا يمكن فصم أحد أجزائها عن الأخرى بسبب بنيتها التكاملية . وبذلك تصبح الاستراتيچية أسلوباً فى التفكير يتوخى الحصول على ثقة وحب صديق ما أو تدمير عدو ما ، وهذا الأسلوب يرتكز على منظور فكرى بإمكانه تنظيم معطيات الواقع وحقائقه الملموسة ، وفحص وتقويم الإمكانيات الذاتية وإمكانيات الطرف المقابل ، وتحديد العقبات الموجودة أو المفترضة، ثم وضع مسار حركى للفعل التطبيقى للاقتراب نحو الهدف ، ومن تحقيقه أو الحصول عليه . إن هذه العملية للفعل والحركة وفق خطة منطقية ذات تسلسل ترتيبى فى التطبيق ، تسمى بالاستراتيچية ، أى أن هنالك مكونين أساسيين فى مفهوم الاستراتيچية : الأول نظرى قياسى تقويمى لما هو واقع ، والثانى تنفيذى يتعلق بصيرورة الممارسة عبر العناصر الأساسية الثلاثة (إمكانية الذات ، إمكانية الآخر ، العقبات) .

إن هذا المفهوم العام للاستراتيچية قد اتخذ محتوى تطبيقياً محدداً عندما استقر داخل العمل العسكرى وضروراته التاكتيكية . فإن كلمة استراتيچية أمست متداولة داخل العلم العسكرى لوصف مجموعة الخطط والإجراءات المتبعة لتحقيق هدف دائم ومحدد لجيش ما إزاء أعدائه عامة أو إزاء خصم معين ، وذلك وفق خطة عسكرية تأخذ بنظر الاعتبار إمكانيات الجيش الوطنى وإمكانيات العدو

ونقاط ضعفه لأجل وضع سلسلة من التاكتيكات أو الفعاليات العملياتية التى من شأنها أن تحقق هدفها النهائى . بهذا المعنى استخدمت مفردة «استراتيچية» ، لأول مرة فى فرنسا فى القرن الثامن عشر بعد أن كانت تعنى فى أصلها الإغريقى دلالة عامة هى « فن الحرب L,art de la guer-rece . واعتباراً من القرن الثامن عشر بقيت كلمة «استراتيچية» محصورة فى استعمالها العسكرى دون أن تتوسع لكى تشمل محتواها الفلسفى ودلالتها الفكرية العامة المحددة سلفا .

لكن هذه المفردة قد تطورت فى استخدامها العسكرى عند القادة العسكريين والاستراتيچيين الكلاسيكيين الكبار ، فعند نابليون كان فن الحرب يعنى التهيئة الدقيقة والاستعداد والتجهيز المتكاملين للحرب قبل القيام بأية مبادرة عسكرية ، وذلك لكى يكون إحراز النصر الساحق على العدو يقيناً تاماً . أما فى المدرسة العسكرية الألمانية التى كان رائدها كلاوسفتز Clausewtz فقد تمثلت عنده الدلالة الأساسية لمفردة «استراتيچية» فى : تحقيق الأهداف السياسية عن طريق استخدام القوة العسكرية . وقد كُرّستْ هذه النظرية فى الفكر الاستراتيچى العسكرى الألمانى بعد ذلك عبر القائد الألمانى مولتكه Moltke . وفى الفكر العسكرى الفرنسى الذى رسخ الجنرال فوش Foch أركانه الأساسية كانت الاستراتيچية تعنى تحقيق الانتصار التام فى المعركة .

وبذلك يكون مفهوم الاستراتيچية فى المجال العسكرى الكلاسيكى يتوخى بشكل رئيسى تحقيق غاية أساسية هى : تحقيق نصر أكيد على العدو عن طريق تدميره بشكل منظم وكامل . ولقد مثل هذا رأى كل الاستراتيچيين العسكريين الكبار ، نابليون ، كلاوسفتز ، مولتكه ، فوش ، كاستيكس Castex ، وجوبيير Guibert .

إن أول من بدأ التنظير العسكرى الاستراتيچى كان ميكيافيلى فى كتابه «خطابات حول فن الحرب» . Discours Sur L,art de la Guerre.

الذى كتبه بين عام ١٥١٦ وعام ١٥٢٠ ، إلا أن هذا الكتاب لم يحظ بأهميته فى الفكر العسكرى الاستراتيچى آنذاك ، بل اكتسب أهميته عندما تصاعدت النزاعات العسكرية فى أوربا من خلال الحروب الكبيرة التى بدأت اعتباراً من الحروب النابوليونية .

بيد أن الأهمية العظمى لميكيافيلى قد بدأت مع كتابه «الأمير» حيث رسم فيه خطوطاً منظمة لـ «استراتيچية سياسية» ، بمعنى تقنية وتاكتيك العمل السياسى الذى سوف يحقق المصلحة الشخصية المبتغاة أو مصلحة الدولة . ولذا فإن ميكيافيلى هو مفكر استراتيچى بالمعنى العام والفلسفى لمصطلح «الاستراتيچية» ، التى لا تنحصر فى المجال العسكرى فقط بل توضع أيضاً داخل الفعالية السياسية باعتبارها وسيلة منظمة فى التفكير تقود نحو تحقيق الهدف النهائى بعد

عقلنة العناصر الواقعية وتنظيمها وفق خطة تتسق مع الظرف الواقعى العام . ويجسد فكر ميكيافيلى ، حول الحرب، الدلالات العسكرية نفسها التى التزم بها القادة العسكريون الكلاسيكيون إزاء مفهوم الاستراتيجية .

لقد تغير المفهوم العسكرى الكلاسيكى للاستراتيجية اعتباراً من عام ١٩٤٥ ، بعد استخدام القنبلة الذرية ضد هيروشيما وناكازاكى ، حيث اكتسب هذا المفهوم بعداً جديداً هو الردع ، فبعد أن كانت الاستراتيجية تتجسد فى تحطيم العدو وتحقيق النصر عليه ، أصبحت تعنى بعد دخول العامل النووى ، تحقيق الردع Dissuasion الناتج عن امتلاك السلاح النووى كعامل منع لقيام حرب عالمية موسعة لأجل تحاشى استخدام هذا السلاح ولتجنب الإبادة الجماعية التى يمكن أن يولدها .

وبظهور العامل النووى واكتساب الحرب الحديثة تسمياتها التقنية مثل الحرب التكنولوجية والحرب الميكانيكية .. ثم استمرار الصيرورة العلمية للحروب ، ظهرت مرحلة جديدة من التنظيرات الاستراتيجية واضعة نهاية حدّية لكل التنظيرات الاستراتيجية السالفة الذكر والتى لم يبق منها سوى محتوياتها الفلسفية المجردة المتمثلة فى تعميق فكرة التوقعات الشاملة والترابطات العملياتية لأجل تحقيق النصر . وأهم مدرستين فى الفكر الاستراتيجى المتعلق بالحرب التكنولوجية والنووية الحديثة هما المدرسة التى تمثلها كتابات السير بازيل ليدل هارت Sir Basil Henry Liddel Hart والمدرسة الفرنسية التى مثلها الجنرال أندريه بوفر General Andre Beaufre .

بعد هذه الثورة التكنولوجية فى التقنية العسكرية ، أى دخول القنبلة الذرية إلى حقل الاستعمال، بدأ مفهوم الاستراتيجية بالتطور والاتساع ، بشكل سريع فى اتجاهين : الأول هو التطور التقنى المتلاحق من الاستخدام العسكرى للقوة النووية إلى غزو الفضاء وتسليحه وشحنه بأجهزة الرصد والرقابة للأغراض العسكرية . والاتجاه الثانى هو التطور الحاصل فى العلوم الإنسانية ومناهج التفكير مثل الأنثروبولوجيا والسسيولوجيا وعلم الاقتصاد والألسنيات وما فتحته من آفاق علمية حديثة مثل المرنولوجيا والسميولوجيا ، حيث اقترنا حالياً بمفهوم الاستراتيجية بتكوينهما مفاهيم جديدة تتماشى مع الاتساع الفلسفى الحاصل فى الاستراتيجية كمفهوم منهجى فكرى أولاً ، ثم كعلم يرتبط بالعلوم الإنسانية الأخرى .

ثانياً : وفق طاقته الضمنية على التطور فى محتواه لأجل تحديد أكثر دقة لمواصفاته وميدانه . وعبر هذا التطور التقنى ـ المفهومى النظرى ، انبثقت مفاهيم أخرى مقترنة بالعلم الاستراتيجى منطلقة من مضمونه الأساسى وباتجاه خلق حركية جديدة لمساره المعرفى ونضوجه التراكمى ، ومن

هذه المصطلحات الجديدة على سبيل المثال لا الحصر ، الابستيمولوجيا الاستراتيچية (أو المعرفية الاستراتيچية) ، والأنثروبولوجيا الاستراتيچية ، السسيولوجيا الاستراتيچية ، والفرمولوجيا الاستراتيچية ... وما إلى ذلك . وعلاوة على هذا التداخل بين الاستراتيچية والعلوم الأخرى ، انبثقت مفاهيم فلسفية مجردة ناتجة عن اتساع المحتوى والدلالة الفلسفيين للعلم الاستراتيچى ، من هذه المفاهيم : «الزمن الاستراتيچى» ، «المنطق الاستراتيچى ، أو العقلانية الاستراتيچية» .... وما إلى ذلك .

كما حصل تلاحم بين التطور التقنى التكنولوچى ، كجانب داخل مفهوم الاستراتيچية وبين الأيديولوچيات السياسية ، ولا سيما الماركسية منها أو اليسارية بشكل عام أو التى توصف بأنها أيديولوچيات راديكالية ، فعندما انبثقت حروب التحرر الوطنى والحروب الثورية بأشكالها المتعددة من حرب العصابات إلى حرب الشوارع ، ظهرت معها فى الوقت نفسه استراتيچيات خاصة تعتمد فى جزء منها على الإمكانيات التقنية التكنولوچية وما توفره من مساعدة على تحقيق الهدف العسكرى النهائى ، أى النصر ، وفى جزئها الآخر على البناء الأيديولوچى الذى يكون الحافز الأساسى للحرب ، ويدخل ضمنه المكوّن المذهبى والنواة العملياتية للحرب الثورية مثل طبيعة الطبقة الاجتماعية التى تستند إليها الحرب الثورية كعامل بشرى فى الفعالية القتالية : الطبقة العاملة ، الفلاحين ، الاتحاد بين الفلاحين و الطبقة العاملة ، أو الاتحاد بين البرجوازية الصغيرة الوطنية والبروليتاريا والفلاحين ... وغير ذلك من فرضيات . ونرى أهم التنظيرات فى مضمار الاستراتيچية الثورية تتمثل فى كتابات لينين وتروتسكى فيما يخص الاتحاد السوفيتى ، ماوتسى تونغ فيما يخص الصين ، أرنستو تشى غيفارا وفيديل كاسترو فى أمريكا اللاتينية ، فرانتى فانون أفريقيا ، الجنرال جياب فى فيتنام . ثم إننا نستطيع اعتبار كتاب غاندى حول اللاعنف ، نمطاً من أنماط الاستراتيچية « العسكرية ضد العسكرية » ، داخل إطار الحرب الثورية ، أو حرب التحرر الوطنى .

يبقى المنطلق العسكرى أساساً لتطور مفهوم « استراتيچية » ، حيث أمست هذه المفردة تتداخل مع جميع نواحى الحياة المعاصرة وغير العسكرية ، كالناحية الاقتصادية والناحية الاجتماعية ، والناحية السياسية .. والثقافية .. حيث انبثقت مصطلحات ذات مضامين استراتيچية غير عسكرية مثل : استرتيچية اقتصادية ، استراتيچية اجتماعية ثم ، خاصة ، إستراتيچية سياسية التى غدت المصطلح الأكثر أهمية لأنه يتضمن الناحية العسكرية أيضاً والجوانب الأخرى المتعلقة ببنية الدول واستمراريتها وديمومتها ، ثم إن هنالك الكثير من التعبيرات التى ارتبطت بمفهوم الاستراتيچية ، مثل : الاستراتيچية الثقافية ، والاستراتيچية الجنسية ... وغيرها ، وهنا يكون المفهوم العام لها ذا

محتوى فلسفى ، باعتبارها منظومة فكرية ذات مراحل متراتبة تعود إلى الهدف مسبقاً كغاية فردية أو جماعية ، سلمية أو عسكرية ، فالاستراتيچية هنا ديمومة تنظيمية مرتبطة بكل شيء وبكل فعالية حية ذات قدرة ذهنية ، فالفرد وللأنا استرتيچيتهما عندما يحددان أهدافهما الخاصة فى الحياة بغية تحقيق النجاح والمنافع الخاصة . وفق هذا المفهوم الفلسفى الشمولى ، المحدد منذ البداية ، تنحصر كل صيرورة جماعية أو فردية ، لأنها بدون هذه المنظومة من التفكير ، والتى انبثقت من المجال العسكرى ، لا تستطيع ممارسة ديمومتها أو ذاتها موضوعياً داخل المحيط الجماعى بهدف الوصول الى غاياتها النهائية * .

* *انظر المراجع فى نهاية هذا الفصل ، والتى اعتمدنا عليها فى تحديد مفهوم « استراتيچية » ، وكذلك فى تحديد المفاهيم اللاحقة الأخرى .*

٢ ـ بعض المفاهيم الاستراتيچية المعاصرة *

١ـ المعرفية الاستراتيچية (إبستيمولوجيا استراتيچية ، أو علم المعرفة الاستراتيچية)
epistemologie strategique

هو علم تحديد الأسلوب أو النهج الحربي لجماعة ما داخل مجالين :

الأول هو مجال تقنى يتركز فى صيغة ومواصفات الحرب القائمة بأساليبها العسكرية والاستراتيچية المتعددة : (حرب ريف ، حرب ثورية ، حرب تحررية ، حرب استعمارية ، دفاعية ، هجومية ، نووية ، تقليدية ...... الخ) .

والثانى هو مجال زمانى يُعنى بتحديد الحقبة الزمنية التطورية للمجال الأول ، تحديداً تاريخياً مقارناً ، داخل ميدان التطور التاريخى لاستراتيچيات الحروب . فالأبستيمولوجيا الاستراتيچية هى علم معرفة تطور الأفكار الاستراتيچية والأساليب العسكرية ، وتحديد المحاور والأسس التى تتحكم بمسار هذا التطور داخل الفكر الاستراتيچى العام للجماعة . إن عملية التحديد واستخلاص المحركات الدائمية الفعالة فى تطور استراتيچية الحرب لدى المجموعة البشرية ، تكون نتاجاً للتداخل البنيوى بين حركية الزمن التاريخى وبين الواقع التقنى للجماعة ، وتطور هذا الواقع نوعياً داخل المجال الزمنى ، ثم الإضافات والتحسينات النظرية التى تضفيها الجماعة على استرتيچتها بشكل يواكب طبيعة التحديات العسكرية المعادية لها . وتتمثل الناحية التقنية للحرب ، بطبيعة الأدوات والمعدات المستعملة والعلاقة بين المستوى التطورى والتكنولوچى لهذه الأدوات وبين الخطط المرسومة للدفاع والهجوم ، بحيث تفرز هذه العلاقة الصفة الاستراتيچية والتكنولوچية للحرب : مثل حرب تحررية ، حرب نووية ، حرب استعمارية ، حرب تقليدية ، حرب فضائية ....

** كُتبت كل هذه المفاهيم لتنشر فى « الموسوعة السياسية » المجلد الرابع . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت*

فعلى سبيل المثال ، نرى أن الحرب التى اصطلح استراتيجياً على تسميتها بـ « حرب الريف » والتى قادها الزعيم الوطنى المغربى عبد الكريم بين عامى ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ ضد الدولتين الاستعماريتين أسبانيا وفرنسا ، تطرح إشكالية أبتسيمولوجية استراتيجية كبيرة ، بسبب خصوصيتها المتفردة والمستقلة عن النماذج الموجودة للحروب ، فهى أولاً حصلت داخل المناطق الريفية متخذة بنظر الاعتبار الطبيعة الاجتماعية القبلية لسكان هذه المنطقة ، والاعتماد على هذا المنفذ القبلى كطاقة تحريض ومقاومة فعّالة عسكرياً للقوات الأجنبية ، لكن هذه البنية الريفية القبلية لقوات عبد الكريم لم تجعل حربه حرباً تقليدية ، ولاعتماده على أسلحة حديثة بمستوى أسلحة مشاة العدو ، والاعتماد على هدف استراتيجى يقع داخل الإطار السياسى الحديث لحركات التحرر الوطنى ، هو خوض الحرب من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية وتحقيق الاستقلال الوطنى ، بحيث إن استراتيجية عبد الكريم فى حرب الريف كانت مصدراً تجريبياً فيما بعد استلمه قواد ذوو أيديولوجية ماركسية فى خوض حروبهم التحررية مثل ماو تسى تونغ وهو شى منه ، رغم الطبيعة الدينية الإسلامية لحرب عبد الكريم فى المغرب .

وفى النهاية لا يمكن وضع « حرب الريف » ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ ضمن نموذج أحادى فهل هى حرب تحررية فقط ؟ أم حرب قبلية فقط ؟ أم حرب تقليدية وفق تقنيتها ؟ أم ثورية ضمن هدفها النهائى بغض النظر عن طبيعتها القبلية الدينية ؟ إنها ذلك كله لأنها تمثل تقاطعاً أبتسيمولوجياً تاريخياً على مفترق التطور التقنى والأيديولوجى للحروب تحمل إرهاصاً مستقبلياً لتقسيم معرفى استراتيجى لحروب أخرى مثل الحروب التحررية اللاحقة ذات الأيديولوجيات العلمانية وذات الارتباط المزدوج بين المستوى الراهن لتطورها التقنى وهدفها الاستراتيجى من ناحية وبين المراحل السابقة لمعرفيتها الاستراتيجية .

٢ ـ معتقد استراتيچى doctrine strategiqu

مجموعة الأفكار والأساليب التقنية والتكتيكية الخاصة بوضع الخطة الناجحة لتحقيق هدف أساسى يتوخى مواجهة العدو وتحقيق الانتصار عليه وفق خطة مبرمجة وذات تكتيك منظم ومرن قابل للتغيرات الجزئية المستجيبة الضرورات العملياتية الطارئة داخل ساحة المعركة أو ميدان المواجهة ، من غير أن تكون هذه المرونة مؤثرة على الهدف الاستراتيچى الأساسى لخوض المعركة أو على المحاور الجوهرية فى تقنية الحرب .

وتكون هذه المجموعة من الأفكار ، المشكلة للمعتقد الاستراتيچى ، منبثقة من الإمكانيات المادية والتكنولوچية الموجودة عند الطرف الأول ومن تقويمه وتقديره لإمكانيات الطرف الثانى (العدو) التقنية ، والاقتصادية ، والخبرة العسكرية التى يتمتع بها قادته وجيشه ، ثم أيديولوچيته السياسية وطبيعة التكوين الجغرافى الإقليمى له .

ففيما يخص الحركات أو الحروب الثورية فى بعض بلدان مجموعة العالم الثالث ، يكون الهدف الرئيسى على الأغلب هو التحرر من السيطرة الأجنبية وتحقيق الاستقلال الوطنى .

ولذلك تقوم الحركات العسكرية فى هذه البلدان بعمليات قياس ميدانى للثقل العسكرى والسياسى للقوى المحتلة لتحديد مبدأ استراتيچى خاص بها ينبثق من هدفها الأيديولوچى الرئيسى، ويتفق عقلانياً مع إمكانياتها والأرضية الجغرافية ـ الاجتماعية (الجيوسسيولوچية) التى ستمارس فوقها فعاليتها العسكرية ، فتتخذ من حرب العصابات معتقداً استراتيچياً لها بكل ما يترتب على تقنيته العملياتية من تفاصيل ومناورات ، أو قد تتبع معتقد الحرب النظامية ، أو حرب الشوارع ، أو حرب الاستنزاف عن طريق مهاجمة القواعد العسكرية للدول المحتلة .

ويختلف المعتقد الاستراتيچى لدى الدولة عنه لدى المنظمات والجيوش الثورية ، فتتخذ بعض الدول من الردع معتقداً استراتيچيا لها ، وذلك عن طريق التفوق فى التسلح على الدولة الخصم بحيث تمنعها من القيام بأى عدوان دون أن تقترن هذا الردع بأى مواجهة عسكرية .

والمعتقد الاسترتيچى لأية دولة لا يكون ثابتاً وإنما يكون خاضعاً لحالات خاصة من التغير، وفقاً لعوامل عديدة ومتنوعة ، كالتطور التكنولوچى ، وتصاعد الإمكانية الاقتصادية أو تطور الطاقة

التسليحية للعدو ، واتباعه لاستراتيچية جديدة فى الحرب ، والمقاومة والردع .فمثلاً نرى أن المعتقد الاستراتيچى للولايات المتحدة كان قائماً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) على الاستراتيچية المسماة بـ (توازن الرعب) أو (الرعب المتوازن) ، ولم يتغير هذا المعتقد إلا فى عام ١٩٨٢ ، فبعد أن كانت الولايات المتحدة تتوخى تصعيد كفاءتها العسكرية بالمستوى نفسه الموازى لكفاءة الاتحاد السوفيتى ، أصبحت منذ العام ١٩٨٢ تعتمد على التفوق النووى على الاتحاد السوفيتى عبر التطوير التقنى المتقدم لمواجهة الصواريخ النووية السوفيتية . فإن (مبادرة الدفاع الاستراتيچى) التى أعلنها الرئيس الأميركى رولاند ريغان القاضية بتدمير الصواريخ النووية السوفيتية داخل الفضاء وقبل سقوطها على أهدافها فى داخل الولايات المتحدة قد غيرت الموازين الاسترتيچية السابقة، فهذا المنحنى الجديد فى المواجهة النووية ، ينجى الولايات المتحدة من خطر التدمير النووى السوفيتى ، ويجعل أميركا قادرة على ضرب المراكز الاسترتيچية والمدنية المهمة داخل الاتحاد السوفيتى دون التعرض إلى ردع نووى فعال ومُدمر من قبل الخصم . إن هذا التطور التقنى الهام فى مجال الأسلحة النووية ، دفع الولايات المتحدة إلى تغيير معتقدها الاسترتيچى العسكرى مقترناً بميزاتها الاقتصادية التسليحية الخاصة بمثل هذا النوع من المواجهة النووية المتطورة . وإن هذا المعتقد الاستراتيچى الجديد يرتبط جوهرياً وبالضرورة بتغيير الخطط العسكرية ومنظومات الدفاع والهجوم أى أنه طرح تصوراً جديداً للدفاع عن الأمن القومى ومواجهة التحدى العسكرى الأكثر أولوية المتاتى من الاتحاد السوفيتى كخصم استراتيچى أول .

وقد فرض هذا الأسلوب المتقدم فى تقنية الحرب النووية على الاتحاد السوفيتى حتمية إعادة النظر بمعتقده الاستراتيچى السابق من أجل خلق منظومة نووية للدفاع والهجوم باستطاعتها أن تمتلك فعالية متفوقة على التقدم الأمريكى فى مجال الصواريخ النووية المعترضة ، وتحقق نوعاً جديداً من التوازن المرتكز على قدرة الطرفين على الردع النووى ، وتدمير العدو بالمستوى نفسه على الأقل أو التفوق عليه نووياً كهدف استراتيچى نهائى . ولأجل أن يكون الاتحاد السوفيتى فى مستوى هذا الهدف ، فإن (مبادرة الدفاع الاستراتيچى) التى أعلنها الرئيس ريغان تتطلب بأن يغير السوفيات معتقدهم الاستراتيچى من ناحية طريقة تكوين منظوماته العسكرية النووية ، والميزانية الاقتصادية المخصصة لها ، والبرنامج السوفياتى فى مضمار الصناعة الحربية ، بحيث يستمر فى مستوى التفوق النووى على الولايات المتحدة مع قدرته على تدمير المدن الأمريكية المهمة ، حتى فى الحالة التى تكون فيها الولايات المتحدة هى الموجهة للضربة الأولى .

ولقد تطور مفهوم المعتقد الاستراتيچى من دلالته العسكرية المخصصة إلى دلالة سياسية،

فأصبح يقصد به أيضاً الأيديولوچية الفكرية الأكثر أهمية وتأثيراً داخل حدود جغرافية ـ سياسية ما (جيوبوليتيكية) ، بحيث تستطيع هذه الأيديولوچية التحكم بالواقع السياسى ـ الاجتماعى لبلد أو جماعة بشرية معينة ، وتلعب دوراً أساسياً فى صياغة ضمير الجماعة أو فكرها الذى يواجه جماعة متحدية لها .

وكمثل على ذلك أن المعتقدات الاستراتيچية السياسية فى الوطن العربى هى : الدين الإسلامى ، والقومية العربية ، ثم الماركسية . فإن هذه المعتقدات استراتيچية من حيث إنها توجه دينامية الصيرورة السياسية لمجتمعات هذه المنطقة الجغرافية ـ السياسية ، وتجعل شرائح اجتماعية كثيرة تؤمن بأن إحدى هذه الأيديولوچيات الثلاث قادرة على تحقيق الأهداف الوطنية المأمولة ، كل أيديولوچية حسب طريقتها الخاصة فى الممارسة وحسب لغتها الخاصة فى تحديد الأهداف العامة والأساسية مثل التحرر الوطنى ، وإقامة نظام يصون حرية وحقوق المواطن العربى ، أو المسلم ، أو الاشتراكى ، ويحدد برنامجاً للتنمية والتطور داخل البلدان العربية ليحقق تقدمها . وفى هذه الحالة يغدو المعتقد الاستراتيچى هو الأيديولوچية الأكثر تأثيراً وهيمنة داخل الوحدة الاجتماعية التى تهدف إلى النهوض بشعوبها والتقدم نحو مرحلة متطورة .

٣- القنبلة الإسلامية Bombe Islamique

هو تعبير أطلقه رئيس الوزراء الباكستانى ذو الفقار على بوتو عام ١٩٧٩ ، ليصف به القنبلة النووية الباكستانية ومحاولة الباكستان أن تكون قوة نووية بمستوى الدول العظمى . وقد أطلق بوتو هذا التصريح بعد أن غدت القنبلة النووية سلاحاً تمتلكه القوى العظمى ، وبعض دول العالم الثالث ، مثل الهند العدوة التقليدية للباكستان ، وإسرائيل كذلك – حسب رأى بوتو ، وبالرغم من عدم تصريح قادتها بذلك – ، ولذلك فإن بوتو يؤمن بأن نجاح الباكستان فى الحصول على قنبلة نووية هو كسب للعالم الإسلامى كله بما أن الباكستان دولة إسلامية . كتب ذو الفقار على بوتو فى كتابه المعروف «إذا قُتلتُ» IF I am assinated : «نحن نعرف بأن إسرائيل ودولة جنوب أفريقيا تمتلكان قدرة نووية كبيرة ، وأن الحضارات المسيحية واليهودية والهندوسية تمتلك هذه القدرة النووية أيضاً . ثم إن القوى الشيوعية العظمى (يقصد الاتحاد السوفييتى والصين) تمتلكها أيضاً ، بينما ظلت الحضارة الإسلامية تفتقر إلى القوة النووية ، لذلك فإن هذا الوضع ينبغى أن يتغير» .

إن بوتو لا يرى الباكستان إلا جزءاً من العالم الإسلامى بما فيه البلدان العربية ، ولهذا فإنه يعتبر امتلاك الباكستان للقنبلة النووية هو امتلاك الحضارة الإسلامية لها . فهو لا يفرق بين القوى الكبرى على أساس أيديولوچى سياسى بقدر ما يميزها على أسس دينية ، وذلك بسبب التحدى الهندى الذى يواجه الباكستان على أساس دينى ، والكتلة الوحيدة التى يسبغ بوتو عليها صفة سياسية وليست دينية هى الكتلة الشيوعية التى لا يصنفها ضمن المعسكر المسيحى أو اليهودى أو الهندوسى . ومن هنا فإن تعبير «القنبلة الإسلامية» يتجاوز نطاق البعد اللفظى السياسى أو الدينى الأيديولوچى المحض ويتعداه إلى المجال الدينى الحضارى الشامل للإسلام . فالإسلام ليس ديناً فقط بل هو كتلة حضارية فى نظر بوتو لها ثقلها الدولى الذى عليها أن تؤديه بالدرجة الموازية لحجمها . وهو بإطلاقه تعبير القنبلة الإسلامية، يهدف إلى توظيف القدرة الجغرافية – السياسية والعسكرية الاستراتيجية للعالم الإسلامى توظيفاً حضارياً . ولا يرى بوتو وجود أية عقبة بإمكانها منع البلدان الإسلامية من امتلاك القنبلة النووية ، فلا يوجد أى تعارض بين الإسلام وبين امتلاك السلاح النووى . ولذلك جاء إعلانه فى «القنبلة الإسلامية» بمثابة الدعوة إلى المساواة ، وحق الدفاع عن النفس من قبل الشعوب الإسلامية ضد الشعوب ذات الانتماءات الدينية الأخرى . لقد كان

تصريح بوتو ذا أثر فعّال ومتجاوب بشكل كبير داخل البلدان الإسلامية . وكانت فكرة امتلاك القنبلة النووية همّاً سياسياً يسيطر على ذهن بوتو منذ زمن طويل . فخلال فترة نشاطه السياسى الممتدة من العام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٧٧ كان دائم التأكيد على ضرورة امتلاك الباكستان للقنبلة النووية كحاجة أساسية على الصعيد السياسى والعسكرى والحضارى . فقد ركز كثيراً فى كتابه «أسطورة الاستقلال» ، The myth of independan ، المنشور عام ١٩٦٩ ، على ضرورة امتلاك قوة نووية تخدم الباكستان استراتيجياً .

٤- الأنثروبولوچيا الاستراتيچية : Anthropologie Strategique

هى دراسة اعتمادات الوحدة الاجتماعية على النوعية الخاصة بها ، لطبيعة المنهج والخطة العسكرية وأهدافها ضمن عملية الحرب . لكن هذه الدراسة لا تعنى بالحاضر كما هو كزمن مباشر بل تأخذ بنظر اعتبارها التطورات الحاصلة داخل المسار التاريخى للجماعة فى الفكر والتاكتيك العسكريين منذ الماضى وحتى الحاضر عبر التقصى العميق لمعتقداتها الدينية وتقاليدها الاجتماعية وما تتضمنه من روابط مع أسلوبها العسكرى وفكرها الحربى .

وتتضمن مادة انترويولوچيا الاستراتيچية موضوعات تقنية أخرى تستطيع أن تكون عبر تجمعها وتلاحمها العضوى فيما بينها جزءاً أساسياً من مادة الأنثروبولوچيا الاستراتيچية . وهذه الموضوعات هى:التثاقف التكتيكىacculturationTactique ، ثم السسيولوچيا الاستراتيچية ، والبسيكولوچيا الاستراتيچية .

إن هذه الفروع تكوّن مفهوماً واسعاً لأنثروبولوچيا استراتيچية واسعة ولكنها مُحددة ، فهى لا تدخل أو تتداخل مع موضوع قريب منها هو أنثروبولوچيا الصراعات Anthropologie Des Confils أو النزاعات فى مجال العلاقات الدولية الخاصة بالمجتمعات الصناعية ، أو حتى تلك الصراعات التى تسم العلاقات فى المجتمعات التى توصف بالبدائية ، كما لا توجد علاقة بين الأنثروبولوچيا الاستراتيچية وبين التأريخ السياسى للحروب ، فالأنثروبولوچيا الاستراتيچية تستطيع أن تتجسد وفق اتجاهين أساسيين : الأول اتجاه مفهومى تقنى خاص بالعلم الاستراتيچى عبر وسائل العقلنة الاستراتيچية ، ووفق نماذج عينية محددة . والاتجاه الثانى - مفهوم يأخذ بنظر الاعتبار الصراع مع الطرف الآخر بكل منظوماته السلوكية الثبوتية أو المتحركة على حد سواء متخذاً فى هذا الصراع نقطة تحدٍ لفحص الإمكانيات الذاتية للجماعة داخل حالة المواجهة مع الجماعة الأخرى ، بما فى ذلك إشكاليات التجهيزات والإعداد العسكرى والنفسى الشامل فى المعركة ، ورصد التطورات الحاصلة فى مسار الأسلوب الصراعى والمفهومى الحربى للجماعة عبر مراحل الانتقال التاريخى واقتران هذه التحولات بالتطورات والإمكانيات التقنية لدى الجماعة نفسها مقارنة بمراحل تطورها السابقة .

٥- تثاقف استراتيجي : Acculturation Strategique

فى الأساس تعنى مفردة تثاقف Acculturation Strategique عملية التأقلم الاجتماعى المرتبط بالتطور التصاعدى للمستوى الثقافى الخاص بالمجموعة أو بالفرد المنتمى إليها، فهى عملية تراكمية ، كمياً ونوعياً ، لاكتساب المعلومات والخبرة الفكرية عبر التجربة العملية وتطوير المعرفة النظرية .

أما مفهوم التثاقف الاستراتيجى فيعنى التطور النظرى والعملى للجماعة فى مجال الحرب والفعاليات العسكرية واستفادة هذه الجماعة من خبرتها التقنية والتكنولوجية المتطورة، وارتباط هذه الخبرة المادية بتطور مفاهيم ومقاييس عملية المواجهة العسكرية مع عدو خارجى ، آخذة بنظر الاعتبار ما يمكن أن يطرحه أسلوب العدو وتفوقه فى المعركة من خبرات تجريبية ونظرية فى التطور المتدرج والمتقدم نحو الأفضل فى الرؤية والواقع الاستراتيجى لدى الجماعة . ويأتى هذا التثاقف الاستراتيجى عبر عاملين أساسيين : الأول خوض تجربة الحرب ، والثانى التصعيد المتوالى للقدرة العسكرية لدى الجماعة سواء فى مستواها التكنولوجى والتقنى العملياتى ، أو فى استخلاص التجربة الاستراتيجية النظرية عبر فعالية الحرب .

٦- منطق استراتيجى «أو عقلانية استراتيجية» :
Rationalite (ou) Logique Strategique

المنطق الاستراتيجى هو نظام أو نسق من التفكير الذى ينبثق عن عملية تقويم واقع جيوبوليتيكى - عسكرى ما ، لأجل الخروج بمعطيات بعضها ثابت والآخر متحول حسب تغيير طبيعة الوضع العسكرى تقنياً ، أو الوضع الجيوبوليتيكى بشكل جزئى . وهذا النظام الفكرى قد يحتوى على جوانب تركيبية متناقضة مع بعضها ، ولكنها فى التحامها الكلى النهائى تشكل هذا

النظام العام من المنطق . وهذا المنطق منبثق أساساً نتيجة لقياس وضع جغرافى – سياسى – عسكرى ، يمتاز بجوانب أو معطيات ثابتة يمكن أن تفرز استنتاجات ثابتة وفق منطق محدد ينبثق عبر قياس هذا الواقع – الوضع . ووفق المنطق المُستنبط نرى أن هنالك شيئا ممكنا وآخر غير ممكن داخل أى واقع سياسى عسكرى مقترناً بطبيعته الجيوسسيولوجية ونوعية الصراع العربى الإسرائيلى ، إن المنطق الاستراتيچى يرى بأن العرب فى حالة امتلاكهم لقنبلة نووية لن يتورعوا عن استخدامها مباشرة ضد إسرائيل ، بما أن هذه القنبلة تستطيع أن تدمر إسرائيل . مع مراعاة تفكير العرب بتوفير حماية نووية داخل مدنهم الكبرى حرصاً على مواجهة أى ردع نووى إسرائيلى انتقامى مقابل ، وإن عدم توفر هذه الحماية ضد السلاح النووى الإسرائيلى سيكون هو العامل الوحيد الذى يجعل العرب قد يترددون باستعمال القنبلة النووية فى حالة امتلاكهم لها . إن هذا المنطق مبنى على حقائق ثابتة هو حدة الصراع بين العرب وإسرائيل والطبيعة الحضارية له والجانب العسكرى القائم على السباق العنيف فى التسلح ورغبة العرب في الحصول على أكثر الأسلحة تطوراً وتقدماً لاستعمالها بلا تردد ضد إسرائيل ذات التسلح المتطور الموجه أساساً ضد العرب الذين يدركون ذلك . إن المنطق الاستراتيچى هنا هو استنباط حقائق ثابتة وفق مجريات الأمور التى يطرحها واقع جغرافى – سياسى – عسكرى . ووفق بنية هذه الموضوعة يمكن بناء منطق استراتيچى لمناطق چيوبوليتيكية – عسكرية من العالم ، مثل الحركات التحررية المسلحة فى أمريكا اللاتينية، أو التواجد السوفياتى فى أفغانستان ، أو الصراع الصينى – السوفياتى .... وما إلى ذلك .

٧– منظومة استراتيچية «أو نظام استراتيچى» Systeme Strategique

هو نظام جغرافى سياسى مقترن بما يترتب عليه من أهمية عسكرية أو مصالح اقتصادية استراتيچية . وهذا النظام يتعلق بمجموعة من الدول تكون متجاورة أو متقاربة بالضرورة بحيث يغدو فى الإمكان استنباط معطى جغرافى – استراتيچى من خلال هذا التقارب الجغرافى والاشتراك بصفة چيوبوليتكية واحدة ، ويبنى هذا المُعطى الجغرافى – الاستراتيچى على طبيعة التوافق أو التناقض المتحكم بعلاقات هذه الدول فيما بينها سواء على المستوى الأيديولوچى أو الحضارى أو على صعيد المصالح الاقتصادية ، بحيث تفرز هذه العلاقات بالتالى توافقاً أو تناقضاً عسكرياً بين

هذه المجموعة . فعلى سبيل المثال يوجد فى منطقة بلدان الشرق الأوسط نظام استراتيچى من وجهة النظر الأمريكية ، يتمثل فى الحفاظ على الموازنات السائدة داخل هذه الرقعة الچيوبوليتيكية . فهى تمنع تصاعد الحركات اليسارية وحركات التحرر الوطنى بالدرجة التى تضر بالهيمنة لحلفائها التقليديين والقوى المحافظة فى هذه الرقعة ، وتشكل إسرائيل من جهة وإيران – فى عهد الشاه – من جهة أخرى القاعدة التحتية لطرفى النظام الاستراتيچى الأمريكى داخل هذا الموقع الچيوبوليتيكى ، كما تشكل الدول المحافظة والمحصورة بين هذين الطرفين أعمدة داخلية لثبوتية هذا النظام . كما أن تركيا هى النقطة المركزية ، أو مركز هذه المنظومة الاستراتيچية الأمريكية لأنها (تركيا) تقع فى وضع يتوسط الاتحاد السوفيتى من ناحية ودول أوربا الشرقية من ناحية أخرى. فالنظام الاستراتيچى هنا هو توازن داخل رقعة چيوبوليتيكية ، يؤدى إلى حماية مصلحة دولة ما والحفاظ على هذا التوازن العسكرى والسياسى داخل هذه الرقعة وداخل المنطقة المحيطة بها والمؤثرة على أمنها القومى أو مصلحتها الاستراتيچية العامة . فإن النظام الاستراتيچى الغربى داخل منطقة الشرق الأوسط يستطيع أن يستخدم طرفية (إسرائيل وإيران) ، أو مركزة (تركيا) فى حالة المواجهة مع الاتحاد السوفيتى ، ليست المواجهة العسكرية فحسب ، بل المواجهات السياسية والاقتصادية وغيرها .

٨– مواد استراتيچية — Matieres Strategiques

هى المواد الأولية التى تشكل مصادر للطاقة والتى تمتلك أثراً فعالاً على القدرة الاقتصادية والعسكرية للدولة فى حالة السلم ، بشكل عام ، وفى حالة الحرب بشكل خاص والتى من خواصها أن تكون مواداً لا يمكن الاستعاضة عنها أو خلقها بطرق كيمياوية أو فزيائية صناعية ، بل يتم الحصول عليها عن طريق التعدين لكونها مواداً خاماً ومصدراً للطاقة فى وقت واحد . فتقوم الحكومات المستفيدة منها بشراء كميات كبيرة من هذه المواد تفوق طاقة احتياجها الاستهلاكى لتخزينها بكميات هائلة تحسباً لارتفاع سعر هذه المواد أو شحتها الطبيعية فى المستقبل ، أو تعذر الحصول عليها لأسباب عسكرية فى حالة الحرب . وهذا الخزين لمصدر الطاقة الخام يسمى مادة استراتيچية أو مواد استراتيچية .

مراجع الفصل الأول

1- ARon , Raymond : "

2- Beaufre, general Andre: " Crises et guerres", ed, press de la Cite. Paris 1974.

3- Beaufre, general Andre: " Dissuasion et strategie". ed, A. Colin, Paris 1964.

4-Beaufre, general Andre: La guerre revolutionaire; les formes nouvelle de la guerre".ed, Fayard, Paris 1972.

5- Beaufre, general Andre: " Introduction a la strategie" ed.A.Colin, Paris 1965.

6- Beaufre, general Andre:" Memoire, 1920 - 1940 - 1945". ed, press de la Cite, Plon. Paris 1965.

7- Beaufre, general Andre: " Strategie et l'action ", ed,

8- Beaufre: " Strategie pour demain; les proplemes militaires de la guerre moderne". ed. Plon. Paris 1972.

9- Charnay, Jean Paul: " Essai general de strategie" ed, champ libre, Paris 1973.

10- Charnay, Jean Paul: " Technique et geosociologie; Guerre du Rif, le Nucleaire en Orient". ed, Anthropos. Paris 1984.

11- Clausiwitz: " De la guerre ", traduction integral par Denis Naville. ed, les editions de minuit, Paris 1955.

12- Glucksmann: " Les discours de la guerre", ed, L'HERNE, (10/18), Paris 1974.

13- Guibert : " Strategiques", ed de l'herne. Paris 1977.

14-Jervis, Robert:" Perception and misperception in international politics:, ed, Princeton University press. Princeton, 1976.

15- Liddell Hart, B.H: " History of the first World War". ed. Cassell,

London 1970.
16- Liddell Hart, B.H: " Memoire", Traduit de l'anglais par Jean-Paul Constautin, ed Fayard Paris 1970.

17- Liddell Hart: " The Red Army - 1981 to 1945, The Soviet Army - 1964 to the present:. ed, Harcourt Brace and Company, New York 1956.

18- Mao Tse-Toung: " Ecrits militaires", Editions en langues etrangeres. Premiere edition de poche. Pekin 1969.

19- Palmer, Bruce: " Grand strategy for the 1980s". Washington, DC: American Enterprise institute for public policy Research. 1978.

20- Pauker (Guy J.): " Military implications of a possible word order crisis in the 1980s". ed, Santaa Monica, The Rand Corporation. R-2003-AF, November 1977.

21- Synder, Glenn H. and Diesing, P: " Conflict Among Nations, Bargaining, Decision making and system structure in international crises".ed, Priceton University Press. Princeton 1977.

22- SUN TZU: "L'art de la guerre". Traduit de l'anglais par Francis Wang. éd, Flammarion, Pris 1972.

23- SWINSON, A.: "Singapour, Foudroyante victoire Japonaise". éd Mara bout. Paris 1971.

24- VAN CLEAVE (WILLIAM) and SCOTT THOMPSON "Strategic options for the early Eigthies, what can be done?". éd, N.Y National strategic information centre, 1979.

٢٥– تروتسكي – لينين : «مختارات من الكتابات العسكرية» تعريب أكرم ديري ، والمقدم الهيثم الأيوبي . دار الطليعة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧١ .
٢٦– لينين ، ف . أ : «نصوص حول المسائل العسكرية» ، تعريب المقدم الهيثم الأيوبي ، دار الطليعة . بيروت . الطبعة الاولى ١٩٧٢ .
٢٧– ماو تسي تونغ : «مؤلفات مختارة» . دار النشر باللغة الأجنبية . بكين . الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٩٦٨ . الجزء الثاني الطبعة الأولى بكين ١٩٦٩ . الجزء الثالث ، الطبعة الأولى بكين ١٩٧٠ . الجزء الرابع ، الطبعة الأولى بكين ١٩٧٣ .
٢٨– مجموعة من الكتّاب السوفيات : «لينين والعلم العسكري» . دار الفارابي . بيروت ١٩٧٣ .
٢٩– موريز ، إيريك : «مدخل إلى التاريخ العسكري» ، تعريب أكرم ديري والمقدم الهيثم الأيوبي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩ .

الفصل الثاني

جان بول شارنيه
مبادىء استراتيجية عربية *

نُشرت في مجلة «المستقبل العربي» ، يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت العدد ٨٢ ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥ .

دخل عالم الاجتماع الفرنسى جان بول شارنيه إلى حقل التفكير الاستراتيچى بدءاً من عام ١٩٧٣ ، عندما أصدر كتابه الهام «بحث عام فى الاستراتيچية» * ، الذى يعتبر أول تنظير فلسفى شامل ودقيق للمفهوم الاستراتيچية ، بعد أن كانت كتابات الجنرال بوفر حول الموضوع ، وخاصة مؤلفه «مقدمة للإستراتيچية» ، تنحصرفى المجال العسكرى من جهة ، وتغيب عنها غاية نهائية هى إيجاد حدود لفلسفة علمية تنصب فيها الدلالة النظرية لمفهوم استراتيچى من جهة أخرى – دلالة نظرية ضمن الممارسة العملياتية العسكرية أو المعتقدية الأيديولوچية – إن هذا التحديد الدقيق لدلالة الاستراتيچية – دلالة أحادية ذات بنية تعددية – ظهر فى الفكر الاستراتيچى الحديث ، لأول مرة ، مع كتاب شارنيه الآنف الذكر . فَطبّقَ تصوّر فلسفى علمى شامل، درس شارنيه المفردة التقنية «استراتيچيا» كما هى مطبقة ومتجسدة فى الفعالية التناسقية للتفكير ، مع الارتباط بجذرية منشأها العسكرى ، قبل تشعباتها المختلطة آنياً مع المسار التطورى للمفهوم الاستراتيچى .. وحتى اتصاليته العامة بفروع معرفية أخرى .

ولأصل التحديد العلمى – فلسفياً – لمحتوى دقيق تكونّ القاعدة العامة لمفردة «استراتيچيا» يضع شارنيه المفهوم ضمن تعريفه : بأن حدية أبعاد الهدف العام لكل غاية جزئية متعلقة بالمجموع هى العنصر المحورى للتخطيط المبنى شموليا لبلوغ مردوداته النهائية . وضمن الثنايا الجزئية لمراحل بلوغ الهدف المتسع تنبثق سمات عامة مشتركة المواصفات فى مظاهرها الخارجية ، ومكملة لبعضها فى بنيتها الداخلية الناتجة لوظيفة موحدة منبثقة عن المواصفات المرحلية من ناحية، وعن الهدف الأخير من ناحية أخرى . متراكمة حول محور عقلانى مسترسل ، مكونة المفهوم الاستراتيچى لنقطة هادفة ما ، فى حركتها الغائية باتجاه نقطة نهائية أخرى ، تعتبر نهائيتها نسبية بسبب ارتباط نهائية الهدف بتدرج زمكانى ما ، إلا أنها فى النهاية تُتَمم وضعها فى نقطة مركزة واحدة قد تولّد فعل الانتقال إلى نقطة أخرى

---

*Jean-Paul CHARNAY : (Essai general de Straegie)
Edition Cha mp libre . paris1973*

بعد ترسيخها فى موضعها الأول وتيقنها من الارتكاز فيه بكونه حقيقة ماضية مقترنة بهدف مستقبلى فتمكّن من الانسياق اللاحق للنقطة المرحلية التى غدت بديهية الحضور . هذا من ناحية التعريف العام لمفردة «استراتيچيا» كرؤية بدئية شاملة للوصول إلى الهدف قبل تحوّل هذه الرؤية إلى فعل منظم ومتراتب زمانياً وتقاربياً من مرحلة التحقق .

من هذا التصور العام ، يشرع جان - بول شارنيه بفرعيات اكتسبت أهميتها بفعل مسار التاريخ ، منذ العلائق البسيطة والمعتقدات المباشرة إلى العلاقات المتراكبة المعقدة والأيديولوچيات الأكثر نضوجاً فى محتوياتها أو فى تخطيطاتها من أجل محو الأيديولوچية النقيض ، أو نفى الآخر من أجل البنية العامة للأنا فى حدودها الفكرية الجامعة . فالاستراتيچية فى الفعل العملياتى العسكرى وتقدم هذا الفعل طردياً عبر الزمن جعلها تكتسب جوهر الضرورة العلمية المفروضة على الفكر لأن يمارسها نظريا قبل الدخول إلى ميدان التنفيذ . وتطورت هذه الضرورة العلمية باتجاه مجالها العسكرى من جهة ، لارتباطها بالتطور التقنى والآلى السريع ، ثم لتطور الأيديولوچيات والمعتقدات السياسية التى التزمت خطة عمل ممنهجة (استراتيچية) فى ديناميتها العملية داخل الواقع ، أو خطة عمل ممنهجة (استراتيچية) فى تشييدها الفكرى وأثره فى الأرضية الاجتماعية أو الحضارية التى تمارس فعلها التأثيرى فى داخلها . من هنا صدرت التفرعات التقنية الدقيقة لمفهوم «استراتيچيا» نفسه بحيث لن تعد فقط خطة عمل نظرية فى لحظة استباق على التنفيذ بل توجب انبثاق دراسات أخرى لحتميات ظهرت مع العصر الحديث مثل : المعتقدات الاستراتيچية ، الحركية العامة للاستراتيچية ، الأبستيمولوچيا الاستراتيچية ، العقلنة الاستراتيچية ، الديناميكية الاستراتيچية ، استراتيچية الردع ، استراتيچية الردع النووى ، استراتيچية الثورات ، استراتيچيات التحرر من الاستعمار ، التناقضات المجتمعية - الاستراتيچية .... ، وبعد هذا البناء المنظورى المتكامل للاستراتيچية كقاعدة تصورية ذات ركائز علمية ومنهجية دقيقة ينتقل شارنية إلى مجالات أكثر تخصصاً ، فلكونه عالماً اجتماعياً قام بدراسات سسيولوچية ، نظرية وميدانية ، للمجتمعات العربية والإسلامية ، فإنه نقل مجال أبحاثه الاستراتيچية التطبيقية باتجاه العالم العربى والإسلامى ، وشرع فى دراسة الخطة والاتجاه الاستراتيچى لهذه الرقعة الجغرافية السياسية من العالم متخذاً من مواقف السلم والحرب وما يتعلق بهما من نصوص وأدبيات سياسية وعسكرية ، عينة أساسية لاستخلاص خط التطور «المعرفى» والـ«استراتيچى» لمجتمعات هذه البلدان وسط كل التابوات والمثيولوجيات أو الأيديولوچيات الدينية أو العلمانية الحديثة ، وكذلك موقفها المتطور من التكنولوچيا التى أمست الدعامة الأولى لمشروعها الخاص ببناء جيوش حديثة تساعد - فى نظر

سياسى هذه البلدان – على استكمال عملية تحررها وتقدمها . وفى هذا الصدد أصدر جان بول شارنيه أول دراسة ذات منظور استراتيچى لبلدان العالم العربى والعالم الإسلامى وخاصة رقعة الشرق الأوسط هى «التقنية والجغرافية الاجتماعية من حرب الريف، إلى الطاقة النووية فى الشرق»* ثم تبعها بدراسة موسعة أخرى تتناول العالم العربى والإسلامى من منظور استراتيچى مخالف منهجياً للدراسة الأولى هى «مبادىء الاستراتيچية العربية» التى صدرت فى كتاب ضخم أخيراً . ولعرض هذا البحث الشديد الأهمية ينبغى أولاً إلقاء بعض الضوء على الفارق المنهجى بين هذين الكتابين من ناحية طبيعة وظيفة كل منهما تجاه فهم الواقع العربى الإسلامى استراتيچياً وسسيولوچياً ، أو بالأحرى توضيح الطبيعة الفكرية لكتاب «التقنية والجغرافية الاجتماعية» قبل التوغل فى دراسة «مبادىء الاستراتيچية العربية» .

إن كتاب «التقنية والجغرافية الاجتماعية» هو كتاب يحمل فى مجموعه منظوراً غريبا إلى واقع تطورات الأحداث السياسية فى العالم العربى والإسلامى الحديث والمعاصر ، لكن غربية المنظور تعنى منهجية صارمة تتوخى سستمة عناصر موضوعها عقلانياً وبمعزل عن الانغماس فى اتجاه أيديولوچى يواكب منظورها ، وغربية الرؤية أيضاً لا تعنى خارجيتها بقدر ما تدلل على منهجها المتقدم والجديد فى دراسة التاريخ العربى – الإسلامى دراسة استراتيچية الأولى من نوعها بعيداً عن «المناهج» التاريخية المتفشية فى جامعات البلدان العربية وعند «المؤرخين» العرب . ففى الكتاب تزاوج بين المقياس الاستراتيچى كرؤية ، والأداة السسيولوچية السياسية المتداخلة بدورها مع الخصوصية الجيوبوليتيكية للواقع المدروس . إن هذا التراكب بين عناصر الفحص النظرى هو من الضرورات التى يتطلبها العلم الاستراتيچى المعاصر والتى بلغها فى تطوره التقنى والمنهجى مؤخراً وأسهم فى تشكيل أصالة كتاب شارنيه وتجديديته . لقد أثمر هذا المنظور المستحدث للعالم العربى والإسلامى فى تقديم فهم استراتيچى لديناميات تاريخ المنطقة ولحركية هذا التاريخ . بمعنى أنه يبتعد، عن السياق الكرونولوچى التقليدى ويتجه نحو بنية تفكيكية للزمن وفق صياغة أخرى للوحدات التاريخية تتلائم ومنهجية السسيولوچيا الاستراتيچية التى تأخذ بنظر الاعتبار الأحداث التاريخية على أنها وقائع ، تقوم بتفكيكها لمصلحة منظورها الخاص حيث يمسى الحدث معطى ذا دلالة علمية دقيقة .

, Jean-Paul Charnay " Technique et geosocialogie , la guerre du Rif Le Nucleaire en Oriont ", edition anthropos . paris1984

أما فى الكتاب الثانى – موضوع هذا المقال – «مبادىء الاستراتيچية العربية» * فهو يسير فى المجال الاستراتيچى نفسه لكنه «نقيض» للكتاب الأول من ناحية مصدر تسلسل تكوين الرؤية النهائية، أى لا توجد نظرة غربية خارجية تسهم فى أساسية نصه رغم اتباعه لمنهجية علم الاستراتيچية نفسه غير أن جانب الانطلاق والمعالجة يختلف عن أرضية الانطلاق فى الكتاب الأول . فـ «مبادىء الاستراتيچية العربية» هو محاولة لاستخراج فكر استراتيچى للعالم العربى والإسلامى عبر النتاج الحضارى لهذا العالم مجسداً بكتاباته السياسية والأدبية والفلسفية والقانونية العامة إضافة إلى الخطب السياسية للزعماء الذين لعبوا دوراً حساساً وتوجيهياً فى بعض بلدانه . فالمنظور الاستراتيچى هنا يتأتى وينبع من فكر العالم العربى الإسلامى نفسه فهو منظور داخلى يصنع نفسه بنفسه ، وميزة الكتاب الهامة متأتية من عملية تصنيف النصوص العربية والفارسية أو فى اللغات الأخرى للعالم الإسلامى بعد ترجمتها إلى الفرنسية ، وفيما عدا مقدمة الكتاب لا يوجد أى تعليق على النصوص عند إيرادها وفق تنظيم منهجى يتوخى إبراز تجسيد جوانب تكمالية متتالية لموقف استراتيچى عام ، ونستطيع بوجه ما اعتبار عنوان الفصل ، الذى تُدرج ضمنه النصوص ، تعاليق ، بيد أن هذا العنوان يأتى محايداً على الأغلب إلى الدرجة التى لا تتيح إمكانية عنوان آخر بمعزل عن المعطى النهائى للنصوص المندرجة داخل الفصل بحيث إنها تفرز العنوان وتكوِّنه فى أذهاننا فلا تترك إمكانية ثانية لعنوان آخر يتطابق مع الاتجاه الذى تسير فيه أو مع بنيتها الغائية .

فى مقدمة الكتاب يقوم جان – بول شارنيه بوضع بانوراما عامة لـ «استراتيچية» الحرب العربية، كما اكتشفها فى النصوص المتواجدة الآن عبر فترات تاريخية عديدة تمتد فى قدمها إلى ما قبل ظهور الإسلام وتتمثل فى البداية فى قصائد المعلقات التى صوّرت نزعة الحرب والصراع القبلى كفعل مبرر بعامل العرق والعنصر والاعتزاز بالقبيلة كدوافع معنوية أساسية للفعالية القتالية ، فى حين تبدو هذه الاستراتيچية ـ الدافع ، قد تطورت فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين عندما أصبح القتال بنصوص قرآنية وبدوافع أخلاقية دينية عميقة لم يتغير جوهرها الإلهى عبر العهود التالية للدولة الإسلامية . فمنذ حرب الفتوحات ومروراً بالحروب الصليبية ثم المرابطين وحتى الوقت الحاضر لم تفقد الحروب فى العالم العربى الإسلامى التبرير الدينى كحافز أساسى لقيامها وإن

*Jean -paul Charnay : " Principes du strategie arabe " Classiques du la strategie . ed,l'herne . Paris1984

كانت قوة ظهور هذا الحافز رسمياً تتفاوت كمياً وليس نوعياً لأنه متواجد عمقياً في الفعل القتالي العربي على الدوام .

إن النصوص الفقهية الإسلامية أعارت للحرب أهمية كبيرة باعتبارها عملية قتل مقدسة إذا كانت هذه الحرب بدافع ديني ، وجعل الفقهاء من الشهادة أسمى مراحل التضحية والتقرب من الله والطريق الوحيد للدخول إلى الجنة إذا كانت دفاعاً عن الاسلام . وعبر إيراده لنصوص قرآنية وفقهية متعددة المذاهب يرى شارنيه ان القتال قد أمسى مقنناً بدقة ضمن الشرع الاسلامي والقوانين الدينية كما تتجلى في الفقه الإسلامي كمصدر لها . وضمن الهيمنة العامة للرؤية الدينية كتبرير شرعي للحرب ، نرى خطوطاً رئيسية تحدد خصوصية «الفكر العسكرى» ورؤية للحرب كفعل مرتبط بالوجود الحياتي للمجموعة العربية الإسلامية : إن الحرب دعمت على الدوام بنصوص شفهية (تحولت إلى كتابية بعد ذلك عبر عملية التدوين) ، أو كتابية مباشرة . وهذه النصوص مختلفة في طبيعة انتمائها التعبيري ، فهي نصوص شعرية ، أو أدبية نثرية ، فقهية ، فلسفية ، قانونية تشريعية ، تاريخية ، سياسية ......

والحرب لم تكن أبداً مناقضة أو معارضة للشريعة الإسلامية ، أو للتقاليد العربية القديمة قبل الإسلام . وكانت الحرب تعني على الدوام بحثاً فردياً عن الطريق الديني الصحيح من خلال المساهمة في عمل إيجابي جماعي هو المعركة من أجل انتصار اسم الله وشريعته .

وبعد هذه الجذور التأصلية ، اتخذت أبعاد الحرب كدعامة في البناء الاجتماعي ، بالتطور عبر المراحل اللاحقة في التاريخ العربي الإسلامي ، فارتبط الدافع الديني بالتكوين «الطبقي» لشرائح المجتمع على صعيد البناء الاقتصادي أو العرقي : نبالة النسب وشرفيته . فداخل الجيش الإسلامي كان للشريحة التي اصطلح على تسميتها بـ «طبقة » الفتيان دوراً في العملية القتالية ، مختلفاً عن الدور الذي تحتله طبقة الأشراف ـ عن طريق الثروة أو النسب أو الاثنين معاً ـ داخل الجيش وعملية القتال . ففي الحروب الصليبية مثلاً كانت الطبقة العربية النسب تحتل صنف الخيالة وليس صنف المشاة وصنف الخيالة ـ أي الفرسان ـ هو العامل الأكثر أهمية في الفعل القتالي لأنه صنف ضارب وعلى قوته وعدده وعدته يتوقف كسب المعركة ، وصنف الخيالة في الجيوش الإسلامية يقابل صنف الفرسان في الجيوش الأوربية أثناء الحروب الصليبية ، لأن الفرسان أو الخيالة الأوربية كانوا يمثلون الطبقة النبيلة في المجتمع المسيحي في القرون الوسطى . وكانت النبالة وطبقة الأشراف في المجتمع العربي الإسلامي تعني أن يكون الفارس من أصل عربي عريق مقترن بمكانة دينية وسلوكية دينية عالية الالتزام ، ولكن عندما برز صلاح الدين الأيوبي كأهم قائد في الجيوش الإسلامية أثناء

الحرب الصليبية ، فانه قد حطم قاعدة أو عرفاً بكون الطبقة النبيلة فى الجيش متوقفة على نسبها العربى ، لأن صلاح الدين كان من اصل نبيل كردى ، ولم يكن عربياً ، كذلك برز الكثير من الأبطال الفرسان فى الحروب الصليبية من أصول تركية وشركسية نبيلة وإسلامية ، فتغير المقياس المتعارف عليه فى نبالة طبقة الخيالة فى الحرب فلم تعد النبالة محصورة بالأصل العربى النبيل بل بالأصول النبيلة الأخرى غير العربية على أن تكون ذات التزام إسلامى عميق يؤهلها للقيام بالجزء الأكبر من العملية القتالية (فى صنف الخيالة) دفاعاً عن الإسلام . بتدرج هذه المتطلبات الدينية ـ الحربية نشأت الطبقة الأرستقراطية العسكرية داخل المجتمع العربى الإسلامى ، وأمست طبقة متفتحة عرقياً غير أنها تعتبر الالتزام بالإسلام هو المقياس لنبالتها علاوة على انتمائها العائلى . ويربط شارنية بين الفارس الخيال وبين أعمق التقاليد الدينية ورعاً مثل التصوف ، ويورد بعض الأمثلة المتجلية فى سيرة بعض القديسين فى الإسلام مثل الحلاج الذى شوهد بعد موته ـ كما تقول إحدى روايات الميثولوجيا الدينية ـ يركب فرساً ويرتدى لباس فارس خيال ويحمل رمحاً ، والاختيار الاستراتيجى لهذه الرواية يدل على العلاقة العضوية بين الطبقة العسكرية الأكثر قتالية واستبسالاً وبين أعمق حالات التدين والورع متمثلة بالتصوف الشيعى فى الإسلام . ثم يعقد علاقة ، وفق التحليل الاستراتيجى نفسه ، بنى طبيعة السلاح المستعمل والبعد الرمزى الدينى له ، فالرمح سلاح مقدس ولذلك يحمله الفارس ويقاتل به علاوة على السيف ، فالآلة الحربية هنا جزء من نبالة الطبقة فى مدى إخلاصها وتجسيدها لروحية الإسلام ، وجزء أساسى من حقيقة الدين وقيمته الرمزية والروحية ، فالرمح هو السلاح الذى استخدم لرفع المصاحف فى معركة صفين لإعلان طلب إيقاف القتال والجنوح إلى المفاوضات السلمية والهدنة ، وهذا الرمز (الرمح + المصحف) كان كفيلاً بإيقاف القتال من قبل الجانب المنتصر والرضوخ إلى مطلب الجانب الذى أوشك على فقدان المعركة نهائياً.

هنا نتيقن بأن الطاقة الروحية للدين الإسلامى لا تقنن القتال كفعل الهى فحسب ، بل تقوم بترميز أدواته المادية أيضاً وتضفى طبيعة ذهنية خاصة للتعامل معها .

وأهمية السلاح كهيئة معنوية لا تتوقف عند ارتباطها المباشر بالدلالة الدينية بل تتجاوزها إلى الطبقة الاجتماعية ومكانتها حسب التراتب الاقتصادى الذى لم يرق فى ذلك الوقت الى بلوغ صفة طبقة بمعناها المحدد حديثاً ، وإنما فئة اجتماعية تمتلك مواصفاتها الخاصة داخل البناء العام للمجموعة الحضارية ، ثم تمتد هذه الدلالة إلى عمق الالتزام بين الطبقة ـ الفئة والدين الإسلامى متمثلاً فى درجة ورعها وتقواها .

هذا ما يتعلق بالحرب كنضال جماعى له خلفيته الأخلاقية والروحية ، أما فيما يتعلق بالنضال

والموت الفردى متمثلاً بالفدائى الذى يضحى بحياته فى الظل ويمارس موته المتوحد فى العزلة الاختيارية ، فإن شارنيه يأخذ الفدائى الفلسطينى كحالة من استراتيجيات الحرب العربية ويقول بأن الفدائى هو الذى يمارس « الإرهاب » ، ويضع شارنيه كلمة إرهاب بين قوسين للتدليل على الموقف الغربى من العمل الفدائى الفلسطينى . فإن مثل هذا الموت له مرجعيته الشرعية فى الإسلام أيضاً بالاستناد إلى مصادره الأولى أو نصوصه الفقهية التفسيرية ، فالإسلام يجيز للفدائى عمله العنفى بشرط ألا يكون هذا العنف موجه ضد المسلمين . إن المقياس الدينى الشامل هنا ، قادر على إعطائنا تصوراً أولياً لما سيكون عليه الفكر الاستراتيچى العربى كفكر غير منفصل عن الدين كمرجع تبريرى لديناميته .

يتطرق شارنيه أيضاً إلى موقف الإسلام من الإرهابيين الفرديين الذين يدينهم ويكفرهم ، مثل بعض الخوارج الذين مارسوا الإرهاب ضد الخلفاء الراشدين أو ضد بعض الشخصيات لإسلامية الكبيرة ، مثل الخارجى عبد الرحمن بن ملجم الذى اغتال الإمام على ابن أبى طالب ، وهم يختلفون من الارهابيين الذين تحركوا بدافع إسلامى واغتالوا الرئيس المصرى أنور السادات فمثل هؤلاء « الإرهابيين » الفرديين يبرر الإسلام فعاليتهم العنيفة بسبب استنادها إلى دوافع دينية لتصفية شخص يتناقض وجوده فى السلطة السياسية مع مصلحة الدين الإسلامى . من هنا كان الدافع الدينى هو العامل الأساسى فى تحكمه فى الاتجاه الاستراتيچى فى الوطن العربى ، لأن الدافع العربى قبل الاسلام لم يبنِ حافزاً استراتيچياً منطلقاً من العرق والقبيلة بالأهمية نفسها التى مثلها الإسلام منطلقاً من خلفية نصرة الدين وإعلاء كلمة الله . فلم تكن الحرب فى الإسلام حرباً بالمعنى العسكرى المجرد والمحايد ، بل كانت فعلاً عنيفاً مقدساً جسدته كلمة « الجهاد » ، إن الجهاد كعصب حيوى فى النص القرآنى والسنة والمؤلفات الفقهية ، شكّل نواة « الاستراتيچية » العربية ، وهو النقطة التى ركز عليها چان بول شارنيه فى كتابه واهتم بإبرازها عبر كل النصوص والأدبيات المختارة للتدليل على تواجدها الاستمرارى منذ العهود الأولى للإسلام وحتى وقتنا الحاضر باعتبارها حافزاً منطقياً للحرب يتجلى عبر تشكيلات تعددية متباينة داخل الحركية العسكرية أو النضالية فى التاريخ العربى . ويرى شارنيه فى الجهاد مفهوماً حضارياً خصوصياً ينعكس فى الممارسة « الاستراتيچية » للعالم العربى عموماً ويمتلك دلالات خمسا اكتسبها خلال حضوره التاريخى الدائم كهدف وحافز للعملية القتالية هى :

١ـ دلالة سيولوجية ، بتنظيمه للعنف داخل المجتمع المحارب

٢ ـ دلالة طقوسية ، ولأن الجهاد يتخذ شكل طقس دينى هام مثل الصلاة والصيام ، بل أكثر

أهمية منها فى حالات معينة.

٣ ـ دلالة أخروية ، أى ما يتعلق بمعتقدات يوم القيامة وما بعد الموت .

٤ ـ دلالة ثيولوجية فقهية تقر بأن الجهاد يحقق ضرباً من إعادة التوازن السياسى والاقتصادى والاجتماعى داخل الوحدة الاجتماعية الإسلامية

٥ ـ دلالة جيوبوليتيكية ، تلعب دوراً هاماً فى تحديد المجال الجغرافى للفعالية السياسية والمعتقدية للإسلام كوضع وهيمنة دولية داخل رقعة أرضية ما .

لم تتوقف هذه الدلالات الشاملة للجهاد عند الحدود الكلاسيكية للمفهوم بل اكتسبت اتساعاً وتعقيداً عبر الزمن ، حتى أن استخدامه من قبل الأنظمة السياسية العربية المعاصرة أخذ يعنى التطور التقنى والعمرانى ومواصلة حركة التحرر الوطنى ، فقد ظل الجهاد من ناحية محتواه العام أساساً منحصراً ضمن الحدود الدينية كأصل ومنبع له ، بيد أن المفردة فى تفرعاتها وحركية المضامين المضافة إلى دلالاتها المعاصرة امتدت لتكون ضرباً من التوفيق بين الأيديولوجيات السياسية المعاصرة وبين الإسلام كأساس تراثى للمجتمعات العربية ثم أن الجهاد فى اتساع مفهومه المعاصر اقترب ، بل تطابق فى بعض الأحيان ، مع مفردة الثورة كمفهوم سياسى معاصر فى البلدان العربية والإسلامية ، بالرغم من أن هذه المفردة ذات استعمال أوربى فى الأصل ، حيث ازداد استخدامها اعتباراً من قيام الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر ثم أضحت وصفاً مواكباً لغليانات شعبية أخرى ضد السلطات القائمة . وعندما دخلت القاموس السياسى العربى كانت تقتصر فى البداية على التنظيمات الماركسية خاصة أو الحركات والتنظيمات اليسارية عامة ، ثم أمست أكثر استخداماً فى وصف الانقلابات العسكرية القومية ضد الأنظمة الملكية ، وباندلاع الثورة الفلسطينية وانبثاق حركة المقاومة المسلحة للشعب الفلسطينى ولد مفهوم آخر للثورة واستراتيجية جديدة عبر الفعالية القتالية للمقاومة . ثم امتد مفهوم الثورة إلى الحركات الدينية مثل الثورة الإسلامية فى إيران .

إضافة إلى هذا الرصد التطورى لمفهوم الجهاد يقوم جان ـ بول شارنيه بنمط آخر من الرصد لهذا المفهوم ينحصر فى بعدين : الأول تاريخى زمنى والثانى دينى أصولى من ناحية اقترابه أو ابتعاده عن المنظور الإسلامى كما هو مجسد فى القرآن و السنة والأحاديث النبوية والفقه ، ثم كممارسة حدثية واقعية داخل التاريخ الإسلامى . وزمنياً يرصد التواصلية التى لم تنقطع للجهاد كدينامية تحرك كل شىء منذ فترة الخلفاء الراشدين ومروراً بكل الصراعات بين الاتجاهات والمذاهب الإسلامية المختلفة وحتى الحركة المهدية فى السودان فى القرن التاسع عشر ، والثورة الإسلامية

فى إيران ، فالجهاد .... هذا المسار التاريخي كان الأرضية الأساسية لبناء كل استراتيچيات الحروب والتنظيمات والحركات السياسية والعنفية .

بعد هذه المقدمة النظرية التى شيدها شارنيه على دراسة ميدانية للنصوص وحركيات الصراعات العسكرية والنضالية داخل العالم العربى قام بإعطاء مسارها الدلالى الواقعى عبر مئات النصوص المجموعة فى الكتاب والتى تم اختيارها بدقة متناهية بعد قراءة واسعة ومتنوعة المجالات للتراث العربى الإسلامى منذ شعر المعلقات حتى خطابات الإمام الخمينى والرئيسين جمال عبد الناصر ومعمر القذافى .

خضعت عملية اختيار النصوص إلى مقياس يأخذ بنظر الاعتبار مدى الأهمية المرجعية والأصولية لها ، فعبر أربعة عشر قرناً من التاريخ العربى الإسلامى ، تبرز نصوص معينة دون غيرها ، تبدو الأكثر قدرة على بناء خلاصة مكثفة لفكر استراتيچى عربى .

يحدد شارنيه وفق نظرة نقدية سسيو ـ استراتيچية ، المصادر الأساسية للفكر «الاستراتيچى » العربى بما يلى :

ـ القرآن . كأصل لكل فعل فردى أو جماعى ، أخلاقى فهو مازال المصدر الفكرى الأكثر تحكماً، أو نستطيع القول تغلباً فى المعتقدات السياسية المعاصرة بالرغم من التعدد الأيديولوچى الراهن فى العالم العربى . من هنا يقوم شارنيه بقراءة استرتيچية دقيقة للقرآن مستخلصاً الآيات التى تخص الحرب والعمليات العسكرية والنظرية الدفاعية أو الهجومية أو التعبوية ، أو فيما يخص معاملة الأسرى وأخلاقيات الحرب الأخرى ، ثم يصنفها وفق التنظيم المنهجى الذى يبرز رؤية شاملة لفكر استراتيچى عربى ـ إسلامى ، أو إسلامى ـ عربى ، كما يتضح من المسار التتابعى للنصوص المختارة .

ـ بالنسبة للفترة الكلاسيكية التى تبدأ منذ عهد الخلفاء الراشدين ، فقد وقع الاختيار على الأسماء الأكثر شهرة فى الأدب ثم نصوص المؤلفين الأكثر تخصصاً على مستوى الكتابات السسيو ـ تاريخية و ذوى الأسماء المعروفة باعتبارهم تأسيسيين أو قد شكلوا تيارات هامة فى الفكر الاجتماعى السياسى والتاريخى فى العصر العربى الكلاسيكى ، كذلك اعتمد شارنيه على نصوص بعض المعاهدات والأبحاث التقنية الخاصة بالحروب والناحية العسكرية فى الدولة الإسلامية.

ـ حول الفترة المعاصرة ، تجاوز جان ـ بول شارنيه عقبة غزارة النصوص المتوفرة من صحف

وبيانات وخطابات سياسية ووثائق ... إلى الاختيار الدقيق بعد القراءة الشاملة للنصوص الأكثر خطورة وأهمية فى خطب القادة العرب المعاصرين متوخياً فى الاختيار أهمية القائد ، ومدى تكوينه لتيار سياسى قوى أو دينى أو علمانى ، وأهمية الحدث التاريخى الذى حتم الخطبة السياسية (على سبيل المثال خطبة عبد الناصر فى ٩ حزيران ١٩٦٧ بعد الهزيمة مباشرة ، وخطابات هامة للرئيس القذافى أو للإمام الخمينى والمهدى بن بركة و لصدام حسين و لهوارى بومدين ...) ثم البيانات والمواثيق السياسية للأحزاب والمنظمات الهامة ثم الزعماء الدينيين من مختلف المذاهب (من شيخ الأزهر إلى رجال الدين الإيرانيين بعد الثورة الإسلامية) .

ـ حول تعددية المدارس الفقهية فى الإسلام ، اعتمد شارنيه على المفكرين الأكثر بروزاً فى التنظير الفكرى السياسى للمدرسة . ففى المذهب الحنبلى اعتمد على ابن تيمية كمنظر فقهى ـ سياسى يلتصق بالواقع منطلقاً من المقاييس الفقهية لهذه المدرسة ، وفعل مثل ذلك فيما يخص المذهب الحنفى والمذهب المالكى والمذهب الشافعى ثم المذهب الشيعى ، هذا علاوة على اعتماده على نصوص إمام المذهب نفسه فى بعض الأحيان فى حالة تجسيدها لارتباط سياسى بالواقع الراهن بحيث تفرز نصاً ذا معطى استراتيچى مباشر . وفى الخطاب الإسلامى المعاصر اعتمد مدارس التجديد التى وضعت فكرها داخل اتجاهات سياسية أو فكرية تحاول اقتناص مواقع نظرية مؤثرة داخل ظرفها السياسى ـ الاجتماعى المتاح . من هذه النصوص اعتمد شارنيه على كتابات رشيد رضا وحسن البنا ، ومحمد شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وغيرهم من المؤثرين فى المجال السياسى الإسلامى المعاصر.

خضعت النصوص لتنظيم دقيق فى الجمع والتصنيف ضمن فصول معينة . فقد فقدت كونها نصوصاً مجمعة فقط ، فبفضل التصنيف الاستراتيچى لها أمست ذات دلالات جديدة لم تستطع اكتسابها فى حالة كونها نصوصاً مجردة كما كانت سابقاً أو كما وضعت من أجل غرض فكرى خاص . عبر تقسيم شارنيه لها وتنسيقها بشكل خاص أصبحت بنيتها ومضامينها الداخلية قادرة على منح معطيات أخرى أكثر خصوبة فى عرض العناصر والمحتويات الأساسية داخل هذه النصوص . فعنوان أى فصل هو الدلالة الدقيقة على أحد المكونات النظرية للاستراتيچية العربية مدعوماً بنصوص تحقق البعد الميدانى للتخطيط النظرى المسبق من خلال العنوان . وبذكر عناوين الفصول مع نظرة عامة لأهم ما تحتويه من اختيارات نصية ، يمكن معرفة الفكر الاستراتيچى العربى وعناصره بعد دراستنا لمقدمة الكتاب بشكل وافٍ .

يحمل القسم الأول عنوان : الأخلاق ، وينقسم إلى فصول فرعية تتناول النواحى الأكثر دقة وتقنية فيما يتعلق بأخلاق الحرب وتعاليمها وسلوكياتها فى التاريخ العربى ـ الإسلامى كما تجسدها النصوص . ففى الفصل الرئيسى المعنون « قداسات ونواحات حول المعارك » يورد شارنيه النصوص التى تمجد الحرب بنفس عاطفى وافتخارى ، ثم النصوص التى تبرز الموقف الحزين ولكن المتقبل تماماً الحرب كوظيفة ودور ضرورى أو مقدس داخل المجتمع العربى ـ الإسلامى ، وتحت عنوان فرعى للفصل بعنوان « تأسيس وترسيخ الإمبراطورية العربية الإسلامية » نرى النص الشعرى الذى يقدس الحرب ويفتخر بها عربياً وقبلياً أى نص معلقة عمرو بن كلثوم التى تعتبر من أعظم قصائد تمجيد الحرب على الصعيد العرقى العربى القبلى ، ثم تتوالى النصوص التى تبرز المواهب الجغرافية الاستراتيجية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وتوضح سلوكيته فى فعالية الحرب من اعتباراته للعامل الجغرافى ، أو جدليات الهجوم والدفاع المتوقفة عليه . إن هذه المعلومات تظهر عبر نصوص المقدسى والطبرى والبخارى . ثم تنتقل النصوص من الحروب الصغيرة أو الداخلية ، إلى الغزوات الكبرى التى تتعلق بالفتوح وتوسيع الإمبراطورية الإسلامية ، مثل غزوة القدس التى يردها ابن كثير فى كتابه الشهير « الكامل فى التاريخ » ، ثم غزوات صلاح الدين الأيوبى .. حتى المعارك الكبرى مثل الغزو المغولى لبغداد وسقوط الخلافة العباسية .

ومن العصر الكلاسيكى تنتقل النصوص فى تواردها إلى العصر الحديث ، مصورة المنطلق الأساسى لها وهو الأخلاق كرؤية استراتيجية تمثلت داخل الفكر العربى الإسلامى وفق تنظيم متراص ومتلاحم رغم التباين فى الفترات الزمنية . ومن نصوص العصر الحديث نرى الأدبيات التى أفرزتها حركة التحرر الوطنى ضد الاستعمار الأجنبى ، مثل بعض خطب عبد القادر الجزائرى ضد الاحتلال الفرنسى، ثم نصوص للسنوسى فى ليبيا ضد الاستعمار الإيطالى ، وبعض النصوص الفقهية والدينية حول معاملة الأسرى من قبل الجيوش الإسلامية . ثم الفتاوى الدينية التى أصدرتها الدولة العثمانية عند إعلانها الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء الأوربيين المسيحيين ، فإن إعلانها للحرب هو اعلانها للجهاد بسبب التباين الدينى ، ويختتم فصل النضال ضد الاستعمار وفق الاتجاه الأخلاقى الإسلامى العربى بنصوص فلسطينية من فترة الثلاثينات ، ثم تقسيم فلسطين وإعلان دولة إسرائيل وحرب ١٩٤٨ ، والنكسات المتتابعة فى مضمار القضية الفلسطينية مثل حرب ١٩٥٦ ثم هزيمة حزيران ١٩٦٧ ثم أيلول الأسود ١٩٧٠ ، مجسدة فى رسم خط استرتيجى عبر خطابات عبد الناصر وزعماء

مثل ياسر عرفات ونايف حواتمه ، إلى النصوص الأوربية الفلسطينية مجسدة فى أشعار محمود درويش وتوفيق زيادة .

فى قسم « الأخلاق » كدعامة استراتيجية فى الفكر العسكرى النضالى العربى نكتشف عبر النصوص المجمعة منذ العصر الجاهلى لحد الآن ، حقيقة أن الفكر العربى لم يتغير بنيوياً على الصعيد الاستراتيجى مواكباً القضايا المواجهة له واقعياً أو الأحداث التاريخية ذات التطور التعددى، وإن التطور الوحيد الذى طرأ عليه لا يمس بنيته الداخلية بل مفرداته اللغوية أو شكله التعبيرى وليس محتواه ، فطبقاً لكل مرحلة تاريخية ، تتغير مفردات وأشكال التعبير بحيث تنتج صيغة أخرى للتعامل مع حدث التحدى الخارجى ، فأمسى التعبير « أقل» مباشرة وتكشفاً من الصراحة اللغوية الكلاسيكية التى كانت أكثر اتساقاً مع نواياها الضمنية وانتماءاتها الواضحة التى لم تتعلق بنمط من الاعتبارات السياسية للرأى العام المتطور ولوجهة نظر الآخر أو للمواطن المتلقى الذى تصاعدت قدرات وعيه السياسى فى فهم النص المطروح أمامه من قبل المؤسسة السياسية ، فالشكل قد تغير إلا أن الجوهرية الفكرية قد بقيت محافظة على بناها القديمة .

وعبر تنسيق الخطابات والنصوص من دون أى تعليق من المؤلف ، نستطيع أن نستشف حقائق عمق هذا الصمت المحايد والمتطرف التعبير فنكتشف أن خطابات عبد الناصر تحمل المباشرة نفسها التى تسم الخطابات الجاهلية ، لكن النص الجاهلى ينبع من عمق حضارى متفق مع نفسه ومقترن بمتانة لغوية عالية فى حين أن خطابات عبد الناصر تتصف مباشرتها بسطحية كبيرة لا تعبر بدقة عن وقائع الأمور ، وأنها غير متفقة مع نفسها علاوة على سذاجة و ركاكة لغوية مرتبطة باللهجة العامية التى يستخدمها عبد الناصر ، بعيداً عن الدقة والتحديد المميزين للغة العربية الكلاسيكية .

ينتقل شارنيه بعد ذلك ، وضمن قسم الأخلاق أيضاً ، إلى جانب آخر منها يتعلق بأخلاقية المحاربين ، ومقاييس الشرف القتالى داخل الحرب فى مفهومها الإسلامى . ثم بالتناسقات المتداخلة لطبيعة السلاح وعلاقته بالفرد المحارب والنص الدينى الذى يجعل منه مسألة تبريرية شرعية ممتزجة بالتعاليم الإسلامية القتالية ومرجعها الفقهى ، وتندرج تحت هذا الموضوع نصوص لأبى هذيل الأندلسى والجاحظ والماوردى (صاحب الأحكام السلطانية) . وضمن هذا النمط الأخلاقى التخصصى والشديد الانحصار فى إطار الاستراتيجية الإسلامية للحرب تندرج النصوص المتعلقة بالشهادة والبطولة من العصر الإسلامى الوسيط وحتى الوقت الحاضر، فترد

نصوص تم اختيارها بدقة متناهية لأبى هذيل الأندلسى ، الطبرى ، المسعودى ، الواقدى ، الفارابى ، الجاحظ ... إبراهيم طوقان ثم الفدائية الفلسطينية ليلى خالد ونصوص مختارة من بيانات جبهة التحرير الجزائرية ، وخطابات لياسر عرفات ، ثم لمعمر القذافى ..

وفى القسم الثانى الذى حمل عنوان « براكسيولوچى » praxeologie . والكلمة مأخوذة من المفردة الألمانية praxis ذات الأصل اليونانى ، الدالة على الفعل وفق حدوده العلمية ، نرى تفرعين أساسيين : الأول يتناول « فلسفة الحرب » وبناءها التقنى نظرياً عبر «المعركة كحركية أو كتطور » وعبر الحرب كفاعلية تعكس آثارها المباشرة على وحدة الأمة الإسلامية أو تكون انعكاسا لهذه الأمة من جانب آخر .

ففى الحرب كتطور داخل المجتمع العربى ـ الاسلامى نرى نمطاً من الالتحام الطردى بين الثقافة والسلاح ، أو بين العلم والتطور التقنى داخل المجتمع من جهة وبين الفعالية العسكرية للجماعة من جهة أخرى . ويبقى هذا التطوير متصلاً منذ عهد الخلفاء الراشدين حيث كانت التحديات العسكرية الخارجية ذات عنف عدائى يحتم الدفاع عن النفس عن طريق الهجوم وتأكيد الوجود الإسلامى كقوة حضارية ، وامتد حتى العصر الحديث عندما أمست التحديات العسكرية حقيقة دائمة التواجد ، لكن ، وفق بنى وأيديولوچيات متباينة ، وخلال هذه الرؤية للمعركة كتطور ، تندرج نصوص مختارة منذ عصر صدر الإسلام حتى اللحظة التاريخية الراهنة مثل : خطب للخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، ثم أشعار لأبى تمام، نصوص متفرقة للإمام الغزالى ، ابن خلدون ، ابن حوقل ....جمال عبد الناصر ، آية الله شريعتى (مترجمة عن الفارسية) ، نصوص فقهية وقانونية إسلامية للماوردى والشافعى ورشيد رضا ، نصوص من المنشورات والبيانات السياسية للإخوان المسلمين والمرشد حسن البنا ، ثم لبعض الرؤساء العسكريين فى العالم الإسلامى غير العربى مثل الجنرال ضياء الحق فى الباكستان .

وتندرج نصوص أخرى فيما يتعلق بالحرب ووحدة الجماعة الإسلامية ، فيختار شارنيه على الأغلب نصوصاً فقهية لتجسيد التصوّر الإسلامى القانونى الخاص بهذا الجانب الهام داخل المجتمع الإسلامى ، ومن ضمن الفقهاء الذين يمثلون القانون الإسلامى فى أقصى حدوده نصية وتحديداً هو ابن تيمية المنضوى تحت الاتجاه الحنبلى فى الفقه .

من النص الفقهى المختص بالحرب والجماعة الإسلامية ينتقل الكتاب إلى نصوص فقهية وقانونية محضة فى معالجته للفرع الثانى من قسم الـ«براكسيولوچى» فى تناوله لجانب «القواعد

التشريعية والقواعد القانونية» التى تشتمل على «قانون الحرب» لدى العرب المسلمين وما يلتصق بالحرب من قوانين القتال وأخلاقياته وأحكامه حسب الفقهاء والفلاسفة الإسلاميين المستشهد بهم مثل : أبو يوسف ، ابن رشد ..... ثم محمد شلتوت (شيخ الجامع الأزهر) ، حيث وردت فى نصوصهم المسائل الخاصة بقواعد الحرب والتطبيقات الداخلية لها ثم وسائلها التقنية الدقيقة مثل الخدعة والهجوم وإعلان الحرب ، والمنهج العملياتى المترتب عليها حسب النصوص الواردة . ولا تقف النصوص عند العمليات الحربية بل تمتد إلى السلام كجزء من العملية العنفية ، وتتناول قوانين وأصول الهدنة أو المهادنة ومعاملة الأسرى وما إلى ذلك من تفاصيل تقنية خاصة بفعل السلم .

ثم يأتينا فى الكتاب قسم فرعى حول العنف والدين كمسألة مضادة أو قضية مبدئية مرتبطة عمقياً بالإسلام وفق تطبيع فقهى وقانونى للفعل العنفى داخل المجتمع باقترانه عضوياً بقضايا التثوير الدينى وجوهره الجهادى . وترد فى هذا القسم الفرعى نصوص حديثة بدافع حداثة القضية المطروحة على الحركات الإسلامية والتطور المستجد لمتطلباتها الفعلية حالياً . فنقرأ نصوصاً لمحمد شلتوت ولكتاب إسلاميين آخرين ومعاصرين . أولاً تتوغل النصوص المختارة ، فيما بعد ، داخل الفترة الكلاسيكية كتوضيح للجذور الفقهية الأصلية حول قضية العنف التى استقت منها النصوص الحديثة تبريرها الشرعى ، فنقرأ مختارات لأبى يوسف والبخارى وغيرهما .

تنتقل النصوص من قضية التثوير الشرعى إلى معالجة شخصية ومواصفات أمير الحرب كما تحددها الصورة الإسلامية ، وهذه قضية تقنية أيضاً داخل التكوين العسكرى للمجتمع الإسلامى . وتتبع قضية أمير الحرب مسألة تقنية دقيقة أخرى هى أساليب الحرب التى ترد حولها نصوص كلاسيكية متعلقة بالسسيو – ستراتيجيا بالمعنى الدقيق لها فى ذلك الوقت وكما هى مجسدة فى كتابات ابن خلدون المنتقاة من «المقدمة» .

بعد تحديد تنظيم الجيش وتكتيك فعاليته يقوم شارنيه باختيار النصوص التى تعالج قضية من صميم الفعل العسكرى الاستراتيجى هى التكوين الجيوبوليتيكى للعالم الإسلامى وكل ما يتعلق بطبيعة الأرض والمناخ والفعل العسكرى والحياتى فى إطارها . وفى هذا المجال ترد أقدم وأول النصوص التقنية فى التاريخ العربى الإسلامى هى كتابات المقريزى ثم نصوص أخرى أقل قدماً ثم أكثر حداثة .

فى القسم الثالث «الثورة ، ديناميكية الجماهير الموحدة» ، تقدم النصوص المختارة لهذا الموضوع ، تنوعاً فى الرؤية السياسية للثورة حسب تباين التيارات التى يمثلها زعماء وحكام عرب مثل جمال عبد الناصر ، الذى يقدم شارنيه مفهومه للثورة على شكل مقتطفات من الميثاق ومن

خطبه السياسية التى تتناول مواضيع الإصلاح والتنمية والخطط الاقتصادية ، ثم فقرات من خطب المهدى بن بركة والقذافى ، ونصوصاً من بيانات منظمة التحرير الفلسطينية وجبهة البوليساريو ونصوص أخرى .

وداخل موضوع الثورة نفسه ، يرصد شارنيه خصوصيات سسيو - سياسية تتحكم بمسار مشروع التثوير فى العالم العربى - الإسلامى المعاصر ، مثل «التناقضات التاريخية الاجتماعية» التى تتجسد فى الاتجاهات الثورية الكبرى ، وتطالعنا فى خطابات عبد الناصر وليلى خالد حيث تتباين بشدة اتجاهات مفهومهما للثورة ، بل إن خطابات عبد الناصر تحتوى على تناقض حاد بين خطاب وآخر على مستوى موقفه من الدين أو من الماركسية والإصلاح الاشتراكى .

ومن الخصوصيات الأخرى لخط الثورة فى العالم العربى المعاصر هو اقترابها أو ضرورة تحديد موقف باتجاه الدين وخاصة الإسلام كوعاء حضارى للتاريخ العربى . وتحت عنوان فرعى من القسم الثالث «الثورة» ، ترد قضية «الثورة والدين» ثم «الثورة والإمبريالية» فتقرأ تحت العنوانين مقتطفات من خطابات وكتابات عبد الناصر ، ميشيل عفلق ، ياسر عرفات ، معمر القذافى ، سيد قطب ، على شريعتى ، الإمام الخمينى ، موسى الصدر ، المهدى بن بركة ، وبيانات للجبهة الشعبية لجمهورية اليمن الجنوبية . تصوّر هذه المختارات البناء الفكرى لاتجاهات الثورة فى موقفها من الإسلام أو من الاستعمار الحديث فى العالم العربى الإسلامى . وبالرغم من أن عنوان الكتاب هو « مبادىء الاستراتيجية العربية » إلا أن المؤلف لا يتوقف عند ما يطرحه الزعماء العرب فقط بل يقرن بذلك تصورات الزعماء السياسيين فى العالم الإسلامى المعاصر ، بسبب ما تمتلكه الخصوصية الإسلامية من تأثير على العالم العربى بحكم تداخلها عضوياً مع تكوينه الثقافى .

خلال قراءتنا لكل هذه النصوص نشعر بأن التاريخ العربى يتكلم عن نفسه وعن جوهره الحقيقى بدون زيف . إن المحتوى العام للكتاب هو نصوص فقط ، منظمة وفق أسلوب عقلانى فى دقته واسترساله . فجان بول شارنيه لا يعلق أبداً على صيغ هذه المقتطفات المختارة ، كما أنه لا يقدم أى تحليل أو استنتاج حول مضامينها ، ولا يطرح أى خلاصة لها وكأنه يريد القول بأن هذا الصمت والغياب لشخصه هو التعليق الوحيد ، لأن النصوص تقول خلاصتها بوضوح تام . إن عبقرية الكتاب تتجسد فى طريقة تصنيف المختارات وتنسيقها وفق رؤية تنظيمية حادة بحيث تتيح فرصة نادرة لتحليل مقارن جديد لم يسبق له نظير من قبل .

بعد قراءة الكتاب نخرج باستنتاج كالكشف هو أن العالم العربى الإسلامى ليس بدون استراتيجية فحسب ، بل إنه يرفض أن يتخذ له أى نوع من الاستراتيجية فى تطوره السياسى أو

الاقتصادى أو الاجتماعى أو حتى العسكرى ، بسبب من تعددية النماذج المطروحة ، وأن العلاقة بين هذه النماذج ليست علاقة جدل وتفاعل وحوار بل «علاقة» صراع بهدف نفى أحدها من قبل الآخر وفق المعتقد الأيديولوچى وحدوده . ونكتشف أيضاً ، بأن جوهر النظرة العربية العامة للأشياء لم تتغير وأنها احتفظت بأسسها التكوينية الجاهلية والعربية العرقية والقومية ، أو أساسها الإسلامى الذى تركز فى الجهاد الذى كرس استقطابا و امتداداً مستقبليا لما هو قديم من حوافز من شأنها أن تحدد صيغة لاستراتيچية ذات بناء تقنى دقيق ، و«التجديد» الوحيد الحاصل فى المنظور «الاستراتيچى» العربى هو الاختلاف داخل أشكال التعبير الحديثة مقارنة بـ«نموذجها» القديم ، هذا إذا لم تكن معبرة عنه بشكل مباشر عن طريق نص ينطلق من أيديولوچية دينية محضة .

الفصل الثالث

نظرية الأمن القومى الإسرائيلى

المفهوم العام للأمن القومى :

إن الدلالة العامة للأمن القومى تعنى مجموعة التدابير والاحتياطات ، النظرية والعملية ، الخاصة بحماية المجال الإقليمى لدولة ما . على أن المجال الإقليمى هنا لا يعنى الرقعة الچيوپوليتيكية من الأرض فقط ، بل يشمل الثروات الاقتصادية ، والأيديولوچية السياسية الخاصة بنظام الحكم فى تلك الدولة ، والأهداف الوطنية المُمثلة لخصوصيتها القومية والحضارية .

أما نظرية الأمن القومى فتدل – وفق مفهومها العام – على الاحتياطات الواجب اتخاذها بغرض تكريس السيادة الوطنية للدولة على أراضيها الإقليمية ومصالحها الداخلية والخارجية المرتبطة ببنائها القومى والثقافى الخاص . وانطلاقاً من هذا التحديد العام لنظرية الأمن القومى نرى أن هذه النظرية تتفرع إلى تفاصيل تكوينية سياسية فى بنيتها الداخلية ، فهى لا تشمل تعزيز القوة العسكرية فقط كما يوحيه تعبير «تكريس السيادة الوطنية » ، بل تشمل أيضاً السياسية الخارجية والتقدير الاستراتيچى للواقع الچيوپوليتيكى المحيط بالدولة المعنية، ومدى التناقض أو التقارب الأيديولوچى بينها وبين جاراتها المباشرة ، ودراسة إمكانيات الدول ذات المصالح المتعارضة معها أو إمكانيات الدول المعادية لها وقدراتها العسكرية والبشرية والاقتصادية والجيوپوليتيكية ، وتحديد نقاط القصور أو التفوق لدى هذه البلدان لاتخاذ الاحتياطات اللازمة فى مواجهتها ، إذا اقتضى الأمر ، أو تحديد حماية أمنية قومية إزاء الأخطار المحتملة الظهور من قبل الأعداء المباشرين . أو توطيد صلات التقارب والتعاون مع البلدان الصديقة والحليفة للدولة المعنية من أجل الحصول على مساندة لها فى حالة نشوب صراع بينها وبين دولة معادية .

نظرية الأمن القومى الإسرائيلى :

من هذا التعريف العام لنظرية الأمن نستطيع حصر الأركان الأساسية التى تستند عليها نظرية

الأمن القومى الإسرائيلى حسب واقعها الجيوبوليتيكى وتطلعاتها الاستراتيجية ، بركنين أساسيين تستند عليهما كل العناصر الأمنية الإسرائيلية اللاحقة . وهما المرونة من جانب ، والتلاحم الفكرى مع الواقع من جانب آخر (١) . ووفق هذا المنهج العام فى ممارسة العناصر الواقعية النظرية . صاغت إسرائيل فكرة أمنها القومى منطلقة من إدراكها لوضعها الجغرافى – السياسى وكيانها «القومى» الموجود داخل رقعة إقليمية مُهَدَّدَة فى وجودها الكلى لتماسها الحدودى مع أعدائها المباشرين (أى الدول العربية) .

لقد بنت إسرائيل نظريتها الأمنية على التقدير الدقيق والمتواصل لجوانب القوة أو الضعف للبلدان العربية ، فهى دولة عسكرية فى حالة مواجهة دائمة مع أعدائها على أن هذه المواجهة لا توضع باستمرار داخل عملية الحرب الفعلية أو المواجهة العسكرية المستمرة ، بل هى احتمال موجود يحدث فى فترات غير محددة ، وقد تكون مفاجئة على الأكثر مقترنة بشروط دولة ومحفزات إقليمية محيطة بها . لذلك انصب اهتمام إسرائيل الأمنى الأول على الناحية العسكرية قبل السياسية أو السياسية الخارجية . فإن السياسة الخارجية أمست تابعاً يخضع للاحتياجات العسكرية بهدف توفير الاستعداد الدائم للمواجهة . وقد صاغت إسرائيل نظرية أمنها القومى طبقاً لاستراتيجية وتكتيك حربيين بالاعتماد على إدراك دقيق لإمكانيات الدول العربية المواجهة لها . ومن أهم الإمكانيات التى تنظر إليها إسرائيل بنظر الاعتبار العامل البشرى والتفوق العددى للدول العربية ، والقاعدة الاقتصادية القوية واتساع الرقعة الجغرافية السياسية لهذه البلدان مما يوفر لها عمقاً استراتيجياً يؤهلها عسكريا لحركيات الدفاع والتراجع التاكتيكى ثم الهجوم العام .

إن هذه العوامل الثلاثة تمنح الدول العربية قدرة على القيام بحرب طويلة الأمد ليس باستطاعة إسرائيل تحملها بسبب العامل البشرى المحدود والإمكانيات الاقتصادية التى تعتمد فى معظمها على المساعدات الأميركية . ولذلك فإن إسرائيل تحرص على كسب النصر فى كل معركة أو حرب مع العرب ، لأن هزيمة إسرائيل لمرة واحدة فى معركة أو حرب يعنى تهديد وجودها «القومى» ، فى حين أن عدم كسب العرب للنصر فى معركة واحدة أو فى معارك عدة لا يعنى تهديداً لوجودهم القومى أو لكيانهم السياسى .

لقد أخذت إسرائيل بهذه العوامل الأساسية فى الحسبان لأجل صياغة نظرية أمنها القومى التى تركزت بالتالى – وفقاً لهذه العوامل – فى اتجاهين ، الأول اتجاه استراتيجى نظرى عام ، والثانى ، وهو الأكثر أهمية ، اتجاه استراتيجى عسكرى وتقنى خاضع للمؤثرات البوليتكية أو الجغرافية – العسكرية . ومن التحام هذين الاتجاهين تتكامل نظرية الأمن القومى الإسرائيلى .

ويجدر بنا أن نتناول الاتجاه العسكرى أولاً قبل الدخول إلى الجانب الاستراتيجى النظرى

الاستراتيجية العسكرية فى النظرية الأمنية الإسرائيلية :ـ

اعتمدت إسرائيل فى مواجهاتها العسكرية على ثلاث قواعد هامة لخوض أى معركة أو حرب مع الدول العربية ، هى :

١- الحرب الخاطفة .

٢- الضربة الاستباقية (وخاصة تحقيق هذه الضربة إن أمكن فى العمق الاستراتيجى للبلدان العربية) ، وللوصول إلى هذا الهدف حرصت إسرائيل على الاعتماد على القاعدة الثالثة الأكثر أساسية وأهمية وهى :

٣- تحقيق التفوق العسكرى على البلدان العربية مجتمعة واستمرارية هذا التفوق عن طريق تنظيم الجيش ومواكبة التطورات التكنولوجية الحاصلة فى مجال التسلح وفى العلوم العسكرية فى العالم .

والحرب الخاطفة تتخذ صفة الضرورة الأولى داخل الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية لتحقيق النصر المباشر ولتحاشى عوامل الضعف التى يتصف بها الجيش الإسرائيلى بالنسبة للجيوش العربية (مثل العامل البشرى ، العمق الاستراتيجى ....) ، وترتكز نظرية الحرب الخاطفة على ضرورات تشكل الهيكلية العامة للعقيدة العسكرية الإسرائيلية ، هى(٢):

١- تواجه إسرائيل مشكلة النقص فى الموارد البشرية والتفوق العربى العددى الدائم عليها .

٢- لا تستطيع إسرائيل حسم صراعها مع العرب نهائيا بالوسيلة العسكرية نسبة للوضع الجيو-ستراتيجى القائم ، وعدم قدرة إسرائيل على بسط هيمنتها من المحيط إلى الخليج . ولذلك يتحتم على إسرائيل التوصل إلى فرض القبول العربى السياسى بها بشتى الوسائل وعلى رأسها الحفاظ على تفوقها العسكرى .

٣- إن خسارة إسرائيل لمعركة حاسمة واحدة تؤدى إلى انهيار الدولة الصهيونية ، بينما يستطيع الطرف العربى استيعاب أكثر من هزيمة عسكريه دون أن يشكل هذا خطراً على كيانه (٣).
وتقضى الحرب الخاطفة بتعبئة إسرائيل لمواردها إلى أقصى حد ممكن . ولأن إسرائيل تفتقر

إلى الموارد البشرية والاقتصادية الكافية للاحتفاظ بجيش نظامى ضخم قائم باستمرار ، فإنها اعتمدت على جيش «شعبى» أي جيش «ميلشيا» ، يقوم على الاحتياط والتعبئة السريعة والقيام بمهمته العسكرية الخاطفة وتحقيق النصر بأسرع فرصة لكى يعود هذا الجيش بعد ذلك إلى أماكن عمله المدنية ، ولذلك تتوخى إسرائيل فى معاركها الخاطفة ضرورة الحسم العسكرى السريع تفاديا للخسائر البشرية ومنعاً للضغوطات الدولية ولإبعاد الحرب عن المراكز السكانية اليهودية (٤) .

والمبدأ الأساسى الآخر فى العقيدة العسكرية الإسرائيلية هو «الحرب الوقائية» ، القاضية باستباق المعركة والمبادأة بالقتال للقضاء على الخصم قبل أن يبدأ هذا الخصم العملية القتالية (٥) . وتعتمد فكرة الحرب الوقائية على نظرية «الضربة الأولى» ، أو «الضربة الاستباقية – الوقائية» التى تشكل إحدى الحلقات المركزية فى سلسلة من الحلقات النظرية المتداخلة والمتكاملة داخل المعتقد العسكرى الإسرائيلى .

إن «الضربة الاستباقية الوقائية» ليست نظرية جامدة ثابتة ، بل إنها تتضمن من المرونة والديناميكية ما يجعلها تناسب أكثر المواقف الاستراتيجية صعوبة وحرجاً بالنسبة إلى إسرائيل . ن تحليل هذه النظرية يكشف عن المكونات التالية :

١– إن النظرية «بشكلها الخام» تستند كلياً على «الضربة الأولى» ، أى اتخاذ الخطوة العملياتية الأولى والمبادرة بالهجوم والمفاجأة من أجل تحطيم قوات العدو العسكرية واحتلال أراضيه وحجب المبادرة عنه من خلال انتقاء المكان والزمان والأسلوب الذى يتناسب مع الطرف البادىء (أى إسرائيل) .

٢– تضاف إلى « الضربة الأولى » نظرية « الحرب الاستباقية » ، أى استباق التحركات العربية والقيام بضرب الحشود العربية قبل أن تتحرك أو تتخذ المواقع التى يمكن لها أن تنطلق منها نحو إسرائيل . وقد أكد هذه النظرية أحد الاستراتيجيين العسكريين الإسرائيليين وهو الجنرال يسرائيل تال قائلاً : على إسرائيل القيام بهجوم استباقى فى حالة تمركز حشود عربية عدائية على الحدود . وتقوم هذه النظرية على افتراض ضرورة الهجوم الإسرائيلى فى حال انتشار القوات العربية بشكل عدائى (٦) .

تشتمل الحرب الاستباقية على نظرية Anticipatory Counter-attak «الهجوم – المضاد الاستباقى» ، وهى النظرية التى عمّقها إيغال آلون فى منتصف الستينات نتيجة لدروس حملة السنويس ، وقد عرّفها كما يلى : «إنها مبادرة عملياتية إسرائيلية تتخذ ضد التحشدات العدائية وتستهدف احتلال مواقع ذات شأن أمنى حيوى عند العدو فى وقت يقوم فيه العدو بحشد

قواته ، لكن قبل قيامه عملياً بتنفيذ هجومه» (٧) والهجوم المضاد الاستباقى يتطلب ليس فقط ضرب العدو قبل أن يبدأ بهجومه المفترض ، بل احتلال مواقع استراتيجية داخل أرض العدو أيضاً (٨) .
ويمكن إضافة صياغة أخرى «للحرب الاستباقية» Preemtive War ، بحيث تغدو حرباً «وقائية» Preventive War ، والفارق الأساسى أن «الاستباق » يفترض أن هناك تحركاً عربياً فعلياً عدائياً actual deployment بينما « الوقاية » لا تشمل فقط التحرك الفعلى فحسب بل النوايا أيضاً ، والحرب الوقائية تستهدف القوى العربية الكامنة ومنع قيام أى وضع أمنى سلبى بالنسبة لإسرائيل ، وقد تعتبر إسرائيل قيام جبهة سياسية أو عسكرية معينة أو أية تحركات ومواقف عربية أخرى ذريعة للحرب casus Belli للقيام بالضربة الأولى ، وهناك أمثلة عديدة مثل الخطر الذى شكلته على أمن إسرائيل القومى إغلاق مضائق شرم الشيخ قبيل حرب ١٩٦٧ أو موقف إسرائيل من تغيير النظام السياسى فى دول مجاورة فى مطلع السبعينات .(٩)

إن الربط بين نظرية الضربة ـ الاستباقية ـ الوقائية وبين المفاهيم العامة للأمن القومى الإسرائيلى يوضح بأن هذه النظرية تؤلف ركنا أساسياً من أركان نظرية الردع ، فالتلويح أو التهديد بالضربة الأولى يستهدف حصر البدائل العربية وشل القدرة على اتخاذ القرار ومن هنا ردع القدرات العربية عن القيام بأى عمل عدائى اتجاه إسرائيل ، ومن جهة أخرى ترتبط نظرية الضربة الاستباقية بالمفهوم الإسرائيلى « للحدود الآمنة »وتقوم حجة إسرائيل بضرورة الاحتفاظ بالأراضى العربية ، بأن ذلك يلغى أو يقلل من إمكانية قيام إسرائيل بالحرب الوقائية الاستباقية وهكذا فإن الضربة الاستباقية هى بمثابة خط الدفاع العملياتى الثانى للمفهوم الإسرائيلى للحدود الآمنة وإن كانت متناقضة معها نظريا .(١٠)

إن قاعدتى الحرب الخاطفة والضربة الاستباقية فى الفكر الاستراتيجى الإسرائيلى يحتمان بالضرورة الالتزام ببرنامج كثيف للتسلح متقدم ومقترن بفكر عسكرى مرن يواكب التطورات العسكرية عند العدو والتجديدات والاكتشافات الحديثة فى العالم والتكنولوجيا العسكرية كما يحتم الالتزام بترسيخ قاعدة اقتصادية وحليف خارجى قوى يمد إسرائيل بالخبرة والسلاح . ومن هنا كان الركن الأساسى الثالث فى نظرية الأمن القومى الإسرائيلى يرتكز على خط جيش إسرائيلى متفوق على الجيوش العربية مجتمعة من ناحية قدرته الضاربة . فإن التفوق البشرى قضية غير ممكنة ولذلك استعيض عنها بتطوير الترسانة العسكرية الإسرائيلية ورفدها بأحدث أنواع الأسلحة وأكثرها فاعلية والتى تفتقر إليها الجيوش العربية .

ولتحقيق هذا الهدف الاستراتيجى والأمنى قامت إسرائيل بتطوير التنظيم العسكرى لجيشها ،

وخاصة بأسلوب التعبئة للاحتياط فى حالة قيام حرب مفاجئة مع العرب . وقد تصاعد تطوير أسلوب التعبئة تدريجياً حتى بلغ عام ١٩٨٠ ـ وفى حالة التعبئة العامة ـ ما يقارب الـ « ٤٥٠ » ألف رجل ، منهم حوالى ٤٠٠ ألف رجل فى الجيش و٣٠ ألف رجل فى سلاح الطيران و ١٥ ألف فى البحرية .

القدرة التقنية للجيش الإسرائيلى :

إضافة إلى تصاعد القدرة البشرية فى حالة التعبئة العامة فإن المعدات العسكرية فى الجيش الإسرائيلى قد شهدت تطوراً كمياً ونوعيا حتى عام ١٩٨٠ فى قواتها الرئيسية الثلاث البرية والجوية والبحرية .

١ ـ القوات البرية :

اشتملت القوات البرية على نحو ٣٦٠٠ دبابة قتال رئيسية تضم ١١٣٥ من طراز « م ـ ٦٠ » و١٠٠٠ سنتوريون و ٧٥٠ « م ـ ٤٨ ـ باتون » ، ١٠٠ « مركافا ، بالإضافة إلى ٤٠٠ « ت أى ـ ٦٧ » و« ت ٥٤ / ٥٥ » و ١٥٠ ت . أى ٧٣ » (ت ـ ٦٢٠٠) وتضم معدات الجيش البرى الإسرائيلى أكثر من ٦٠٠٠ عربة مدرعة من بينها حوالى ٤٠٠٠ ناقلة « م ـ ١١٣ » وعربات استطلاع « د . ب . ى ـ ١ » وناقلات نصف مجنزرة ، وحوالى ١٠٠٠ مدفع ذاتى الحركة تشتمل على مدافع « م ـ ١١٠ » عيار ٢٠٣ ملم و« م ـ ١٠٧ » (١٧٥ ملم) و« م ١٠٨ » ، و« أم . أكس ـ ١٠٥ » (عيار ١٠٥ ملم) ، و ٥٠٠ مدفع متطور حتى عيار ١٥٥ ملم وصواريخ م/ ط « هوك المحسن و « تشابارال المحسن » و « رداى » ومدافع م/ ط ذاتية الحركة « فولكان » و« س . ب ـ ٢٠ » وصواريخ م/د من طراز « تاو » و« دراغون » و« أ . ت . ساغر » و« كوبرا » و ٢٠٠ منصة إطلاق صواريخ أرض / أرض « لانس » وربما صواريخ أرض ـ أرض « حريكو » و (أريحا) .(١١)

٢ ـ القوة الجوية :

أما القوة الجوية وهى الاعتماد الأساسى على إسرائيل فى تحقيق ديمومة تفوقها العسكرى فكانت تشمل حتى عام ١٩٨٠ على حوالى ٦٨٠ طائرة قتالية تضم ٤٤ « ف ـ ١٥ ريجل » و ٢٢٠ « ف ـ ٤ فانتوم » و ١٦٠ « كتريس ـ ١/ ٢ » (جميعها متعددة المهمات) ، إلى جانب ٢٥٠ قاذفة خفيفة « أ ـ ٤ سكاى هوك » . ويضاف إلى هذه الطائرات ٧٥ مقاتلة « ف ـ ١٦ » بدىء بتسليمها

مؤخراً إلى جانب ١٨ هليكوبتر هجومية خفيفة « هيوز ـ ٥٠٠ ديفندر » . وتشتمل طائرات الاستطلاع والتشويش على ١٦ « ر . ف ـ ٤ فانتوم » للاستطلاع التكتيكي و ٤ « أي ـ ٢ هوك أي» لمهمات الإنذار المبكر والرصد ، و ٢ « أي ـ في ـ ١ . وهوك » للرصد والمراقبة الميدانية و ٢ « بوينج ٧٠٧ » و ٤ « اي . سي ـ ٩٧ » للاستطلاع والتشويش الالكتروني بدون طيار من طراز « ريان ١٢٤ / ١٤٧ فايربي » و « بيتش » و « تشوكار » و « سكاوت » و « ماستيف » . وتملك إسرائيل حوالي ١٢٠ طائرة نقل تضم طائرات « بيونج ٧٤٧ » و « بوينج ـ ٧٠٧ » و « سي ـ ١٢٠ ميركوليز » و « سي ـ ٩٧ » وأكثر من ٢٥٠ هليكوبتر تشتمل على طراز « سي ـ ٦٥ » (سي هـ ـ ٥٣) و « سي ـ ٦١ » (سي هـ ـ ٣) و « شينوك » و « بل ـ ٢٠٥ / ٢٠٦ / ٢١٢ » و « الويت ـ ٢/٣» . ويتم تسليح الطائرات الإسرائيلية بصواريخ جو ـ جو « سايد وايندر » و « سبارو » و « شفرير » وصواريخ جو ـ أرضي « مافريك » و « شرايك » و « ستاندار ـ آم » و « وول آي » و « يولياب » و «لوز » وقنابل موجهة « هوبو » وقنابل عنقودية « سي ب يو » و « جي ب يو » و « روك آي» .(١٢)

٣ ـ القوة البحرية :

وتضم ثلاث غواصات من فئة « فيكرز ـ ٢٠٦ » وزورق صواريخ ثقيل « كورفيت » من فئة «عالية» و ١٠ زوارق « ريشيف » و ١٢ زورق « ساعر » وزورقين زلاقين « سوبر فلافستاف » و ٣ زوارق صواريخ خفيفة « دفورا » وتسلح هذه الزوارق بصواريخ مضادة السفن من طراز « غابرئيل ـ ٢/٣» و « هاربون » ، كما تستخدم البحرية الإسرائيلية حالياً ٣ طائرات استطلاع ودورية بحرية من طراز «سي سكان » وعقدت صفقة أخيرة من أجل الحصول على كورفيت ثانية من فئة « عالية » وتعرف « كيو . يو ـ ٩ ـ ٣٥ » وزورقين إضافيين من فئة « ريشيف » ، و ١٠ زوارق زلاقة « سوبر فلا فستاف».(١٣)

لقد ارتبط تطور الجيش الإسرائيلي بعملية تسليح مستمرة خصصت لها ميزانية مالية ضخمة أثارت غالباً الكثير من النقاشات بين أعضاء الحكومة الإسرائيلية حيث طالب البعض بخفض هذه الميزانية وتكريس جزء منها للمشاريع المدنية الأخرى ، لكن دعاة الحرب، وهم الأكثرية ، يرون أنّ الأمن القومي الإسرائيلي لا يترسخ إلا بفضل عمليات التسليح المستمرة ، ليس بواسطة شراء السلاح من الخارج فحسب ، بل عن طريق خلق وتطوير صناعة عسكرية داخل إسرائيل ، تستطيع أن تحقق لها نوعاً من الاستقلال الاقتصادي وعدم الارتباط الكامل بسوق السلاح الدولي وخاصة الأمريكي منه . وعلى الرغم من أن العلاقة التي تربط ما بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية علاقة استراتيجية ذات مصالح عضوية مُتبادلة فإن إسرائيل قد فكرت بخلق صناعة عسكرية تحقق

لها نمطاً من الاستقلال الجزئى فى عملية التسلح .(١٤)

العلاقات الخارجية والصناعة العسكرية :

إن عملية التسلح و الميزانية المالية الضخمة المخصصة لها جعلت إسرائيل تُخضع علاقاتها الخارجية للضرورات التى تحتمها نظرية أمنها القومى ، وبذلك فإن علاقاتها مع الولايات المتحدة تسير فى هذا الاتجاه . فعلاقة إسرائيل بالولايات المتحدة هى المحور الذى يحدد طبيعة علاقة إسرائيل بدول العالم الأخرى سلباً أو إيجاباً وفق التقارب أو التناقض مع اتجاه سياسة حليفتها الرئيسية الولايات المتحدة .(١٥)

إن المساعدات المالية والعسكرية الأميركية إلى إسرائيل أسهمت فى خلق صناعة عسكرية إسرائيلية متطورة وقادرة على سد الاحتياجات الثانوية والعاجلة فى المجال العسكرى كما أن هذا النوع من الصناعة قد أتاح مجالا جديداً لاشتغال الأيدى العاملة الإسرائيلية وامتصاص البطالة وزيادة الخبرة العسكرية للمواطن الإسرائيلى الذى يعتمد عليه فى الحرب كقوة أساسية تضاف إلى الجيش النظامى . فعلى الصعيد الاقتصادى ، تشكل الصناعة العسكرية مصدر عيش لحوالى ربع القوة الإسرائيلية العاملة .

لقد بدأت إسرائيل بالتصنيع العسكرى منذ الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى ١٩٤٨، لكنها تطورت بشكل ملحوظ فى سنوات الستينات ، بيد أن التطور الأكبر لها جاء بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف ١٩٧٠ ، حيث منع الجنرال ديجول تصدير الأسلحة الفرنسية لإسرائيل الأمر الذى دفع بإسرائيل للتفكير بالتصنيع الحربى لسد الثغرة فى احتياجاتها المتضخمة للسلاح.(١٦)

وتطورت الصناعة العسكرية الإسرائيلية بعد ذلك لتشتمل على مؤسسات صناعية كبيرة وهامة مثل « مؤسسة الصناعة الجوية الاسرائيلية iai وهى أضخم المجمعات الصناعية الموجودة ، حيث يعمل فيها حوالى ٢١ ألف موظف وعامل وقد بلغ إجمالى مدخولها عام ١٩٧٩ حوالى ٥٦٠ مليون دولار ، وكانت نسبة ٦٠ ٪ منها ناجمة عن تصدير منتجاتها إلى الخارج .(١٧) ثم تليها « مؤسسة الصناعات العسكرية الإسرائيلية » imi وهى أقدم مؤسسة صناعية حربية فى إسرائيل . ثم مؤسسة أحواض بناء السفن الإسرائيلية isi ثم مؤسسة رفائيل rafael المعروفة باسم « هيئة

تطوير الوسائل الحربية »، ثم شركة سولتام soltam ، وشركة تاديران tadiran ، وشركة بيت شمس bet shemesh وبعض الشركات الأخرى الأقل أهمية من هذه . وقد ساعدت كل هذه المشاريع الصناعية على خلق صناعة عسكرية إسرائيلية متطورة تسهم بشكل كبير فى بناء الجيش الإسرائيلى والحفاظ على مبدأ تفوق هذا الجيش على الجيوش العربية مجتمعة كأساس داخل نظرية الأمن القومى الإسرائيلى .

لقد نشأت هذه الصناعة بفضل مساعدات اقتصادية وخبرات أمريكية ولذلك فإن التطور الصناعى العسكرى فى إسرائيل وقوتها المسلحة مرهونان بعلاقاتها الاستراتيجية مع أمريكا وبالمساعدة الأمريكية الكبيرة لها ، وهذا الجانب ، على الرغم من مردوداته الإيجابية يشكل بالتالى نقطة سلبية داخل القوة العسكرية الإسرائيلية باعتبارها قوة غير مستقلة ذاتياً عن العون الخارجى الأمر الذى دفع بعض الاستراتيجيين الإسرائيليين لأن يدعون إلى التقليل من اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة ، والعواقب الوخيمة التى سيؤدى إليها هذا الاعتماد شبه الكلى عليها : فى حين يتضح أكثر فأكثر أن العالم العربى أكثر أهمية للولايات المتحدة من إسرائيل ، وأن على إسرائيل الاعتماد على قدراتها الذاتية أكثر من اعتمادها على الحلفاء الاستراتيجيين وفى طليعتهم الولايات المتحدة . لقد تزعم هذا الاتجاه الجنرال يسرائيل تال وهو من أهم الاستراتيجيين العسكريين فى جامعة تل أبيب ، وشغل منصب نائب رئيس أركان الجيش ثم صار قائداً عاماً للقوات الميدانية . حيث يقول : «لا ينبغى أن نستخف بالحلفاء ، وبالتالى لا ينبغى الاستخفاف بمساعدة الولايات المتحدة ، السياسية والاقتصادية والردعية . لكن هذه المساعدة يجب أن تكون بمثابة إضافة إلى ثقلنا النوعى الذاتى وإلى قوة الشعب اليهودى ، لا أن تكون بدلاً عنهما . بالإضافة إلى ذلك لا يجوز أن نعتبر شبكة العلاقات مع الولايات المتحدة أكثر أهمية من علاقاتنا مع العرب ، ويجب أن نرفض التمييز بين شراء الأسلحة من خارج البلد وبين الإنتاج فى البلد ، ونرفض بالتالى الافتراض النابع منه ، وكأن إنتاج السلاح من الخارج هو بمثابة هبة . صحيح أن المساعدة الأميريكية ، بنظرة قصيرة المدى اعتبرت كـ «أموال سهلة المنال» ، بينما المصروفات داخل البلد هى على حساب السكان ، فهذه بالطبع نظرة خاطئة ، لأن قواتنا العسكرية ستتناسب طرديا مع قدرتنا على الإبداع ومع تطوير البنية التحتية ، ومع حجم المقدرة التكنولوجية والصناعية ، ولكى تتقدم التكنولوجيا والصناعة فى البلد ، لابد من استثمار موارد . فعلينا أن نسعى للحصول على أموال المساعدة الأميريكية أو جزء محترم منها ، لا على شكل منتجات أميريكية مصنعة بل بشكل استثمار لإنتاج محلى»(١٨).

إن الاعتماد الكلي على المساعدات الأميريكية والتحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة يشكلان الأساس الأكثر أهمية فى بناء نظرية الأمن الإسرائيلى ، وإن أى انفصال بين الولايات المتحدة والدولة الصهيونية سيؤدى إلى خلل تام في نظرية الأمن القومى الإسرائيلى القائمة على أسس هامة تستند على المعونات الأميريكية مثل التسليح واقتصاديات التسليح والصناعة العسكرية، فإن علاقة إسرائيل بالولايات المتحدة ركيزة أساسية لحفظ أمن إسرائيل القومى .

إن القواعد السابقة هى مكونات جوهرية فى البناء العام لفكرة الأمن القومى للدولة الصهيونية ، لكن بالإضافة إلى هذه المبادىء الثابتة وشبه الأيديولوجية ، صارت الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية تعتمد على مفهومين رئيسيين مترابطين هما : الردع والحسم ويفسر الجنرال يسرائيل تال ، أبرز منظرى الجيش الإسرائيلى ، هذين المفهومين كما يلى : «إن عقيدتنا الأمنية نصت دائماً على أن الجيش الإسرائيلى يجب أن يحتفظ باستمرار بقدرته على الردع . وإذا لم يكن الردع كافياً فإن عليه أن يحسم . إننا لم نضع أبداً القدرة على الردع فى مقابل القدرة القتالية ، بل اعتبرنا الردع والحسم وجهين للعملة نفسها .... وما الردع إلا القدرة الكامنة على الحسم ، وعندما لا يجدى الردع ، سواء لأن العدو يخطىء فى تقدير قدراتنا الرادعة ، أو لأنه يعتقد بقدرته على تحقيق أهدافه الحربية حتى وإن لم ينجح فى إحراز الحسم العسكرى فى الميدان ، فإن القوة الكامنة تتحول حينئذ إلى قدرة عملية تنفيذية فى الحرب » (١٩) .

غير أنه لا توجد بين مفهوم «الأمن القومى» الأساسى الذى يعرفه تال على أنه «قضية وجود» وبين استراتيجيتى الردع والحسم أهداف متوسطة تربط المفهوم «الأعلى» بالوقائع السياسية التى تواجه إسرائيل .

وهكذا يظل هدف إسرائيل حسبما يقول الجنرال مردخاى غور رئيس الأركان السابق «تدمير قوات العدو» ، وهو يضيف أن «على إسرائيل أن تبذل كافة جهودها حتى يكون نصرها سريعاً وحاسماً وحتى يعرف العالم كله من المنتصر» . وأن النتائج السياسية التى يتبعها مردخاى غور تتلاءم أولاً مع مبادىء الأمن القومى الإسرائيلى ، أما مسألة أهداف إسرائيل السياسية فى الحرب فتظل مسألة مفتوحة (٢٠) .

وعلاوة على هذه التشكيلة العسكرية التقنية والتنظيرية ، اتخذت إسرائيل جانبا احتياطياً آخر لتعزيز نظرية أمنها القومى على المستوى الجيوبوليتيكي المتعلق بالعمق الاستراتيجى ، فإن العمق الاستراتيجى الذى تتمتع به البلدان العربية تفتقر إليه إسرائيل تماماً ، ولذلك فقد حاولت تعويض هذه الثغرة الخطرة فى واقع أمنها القومى عن طريق احتلال الأراضى العربية وتشييد المستعمرات

داخل الأراضى الجديدة المحتلة لخلق نوع من الحزام الأرضى الدفاعى أو الرصيف الإضافى لحدودها السابقة أى حدود تقسيم عام ١٩٤٨ . وهى تتوخى بذلك تكوين شىء ولو يسير من العمق الاستراتيجى الذى ينقصها للدرجة التى يشكل خطراً كبيراً على بناء نظرية أمن قومى راسخة وبعيدة عن الاهتزازات الطارئة التى تنتج عن احتمالية نشوب معركة أو حرب بينها وبين الدول العربية .

ومنذ أن تولى رفائيل إيتان رئاسة الأركان الإسرائيلية عام ١٩٧٨ أدخل تعديلات هامة على التنظيم الدفاعى الأمنى للوجود الإسرائيلى فى الضفة الغربية المحتلة . وقد تمثلت هذه التعديلات بسلسلة من الإجراءات التى تستهدف دعم وتقوية المستوطنات اليهودية وزيادة التنسيق ما بين حركة الاستيطان وبين قيادة الجيش ، ومن ضمن الإجراءات التى اتخذها إيتان اعتبار كل مستعمرة فى الضفة الغربية موقع تصد أمامى حيث يقول بهذا الصدد : إن إعطاء صيغة أمنية لجميع المستعمرات وإسناد مهام التصدى الأمامى لها يحول دون التفرقة ما بين الاستيطان للأغراض الاستراتيجية وبين الاستيطان العادى .(٢١)

ويرى إيتان أيضاً ضرورة تحقيق هدفين آخرين لتدعيم استخدام الأراضى الجديدة المحتلة والمستعمرات الحديثة البناء استخداماً قومياً من أجل إسرائيل بحيث يعوضها ولو بشكل جزئى عن افتقادها للعمق الاستراتيجى ، وهذان الهدفان هما :

١ ـ تدعيم فعالية الدفاع المحلى فى الضفة الغربية . حيث قام إيتان بدمج جميع رجال الاحتياط المقيمين فى الضفة ، داخل شبكة محلية شاملة . وقد تم نقل رجال الاحتياط من وحداتهم الأخرى بما فى ذلك الوحدات القتالية بحيث أصبحوا يؤدون فترة خدمتهم الاحتياطية بأكملها فى الضفة نفسها

٢ ـ إقامة التنسيق ما بين « اللجان الأمنية » التابعة للمستوطنة وقيادة الجيش وبالإضافة إلى الإجراءات المذكورة أعلاه . أعلن عن إقامة التنسيق المباشر ما بين « اللجان الأمنية » التابعة للمستوطنات وقيادة الجيش . وكان المستوطنون اليهود قد أقاموا لجاناً أمنية مستقلة خلال السنوات الأخيرة ، إلا أن اعتراض بعض الجهات داخل الحكومة على قيام « جيوش خاصة » فى الأراضى المحتلة أدى إلى الإعلان عن إقامة « لجنة أمنية مركزية» .(٢٢)

إن دور الأراضى الجديدة المحتلة والمستوطنات التى أنشئت فيها على الرغم من تفاقم أهميته مؤخراً داخل نظرية الأمن القومى ، يبقى مسألة قديمة حظيت باهتمام إسرائيل قبل حرب حزيران ١٩٦٧ وبوجه خاص تزايد الاهتمام بها منذ حرب السويس ١٩٥٦ ، فقد استخدمت القوات

الإسرائيلية فى حرب ١٩٥٦ المستوطنات القريبة من الحدود وقطاع غزة كنقاط تجمع وحشد لبعض التشكيلات المشتركة فى العمليات الهجومية مثل استخدام مستوطنة « كرم أبو سالم » المسماة « نير يستحاق » كمركز حشد أساسى من قبل اللواء المدرع ٢٧ عشية مهاجمته لرفح . وقد تجمعت بعض وحدات « الناحال » فى بعض المستوطنات لتأمين الحماية الدفاعية لها وخاصة فى مواجهة قطاع غزة فضلاً عن بعض المستوطنات المواجهة لكلتا الجبهتين السورية والأردنية ، و بطبيعة الحال كان دور المستوطنات المفترض فى نظرية الأمن ، من حيث أهميتها الدفاعية سيتضح حجمه ومدى فعاليته فيما لو طبقت الجيوش العربية أو الجيش المصرى على الأقل عقيدة ذات طابع هجومى.(٢٣)

التصور النظرى لفكرة الأمن القومى الإسرائيلى :

بعد هذا العرض لدعائم وأسس الناحية العسكرية فى نظرية الأمن الإسرائيلى ينبغى عرض الجانب النظرى الشامل لاستراتيجية إسرائيل فى صراعها مع الدول العربية ، فإن الناحية العسكرية تتخذ الجانب الأكثر أهمية ، بما أنها الجانب الممارس يومياً والذى على تماس كلى مع الأحداث الجارية فى الأفق السياسى الشرق أوسطى ، أو فى الأفق السياسى العالمى . لكن تبقى هناك بعض الخطوط الرئيسية لصراع إسرائيلى ـ عربى من وجهة النظر الإسرائيلية * وتمسك هذه الخطوط بمكونات منظور أستريتيجى عام و ثابت على الدوام أو متحرك بشكل جزئى ، حسب أهمية أو خطورة التغيير النوعى فى التسلح أو فى الاتجاهات السياسية الحاصلة فى المنطقة .

منذ عام ١٩٤٨ وحتى بداية الثمانينات اتبعت إسرائيل تصوراً استراتيجياً عاما يتحكم بطبيعة الصراع مع الدول العربية . وهذا التصور هو تنظير سابق على ممارسة العمليات العسكرية . أو بشكل أدق إن العمليات العسكرية منبثقة وصادرة منه لأجل تحديد صيغة للأمن القومى الإسرائيلى أو احتياطات جوهرية أو احتمالية للمواجهة مع الدول العربية .

إن منظور إسرائيل الاستراتيجى هذا يتراوح بين اتجاهين فى سياستها العسكرية العامة ، قام

---

* *وصراع « عربى ـ أسرائيلى » من وجهة النظر العربية*

بتحديدهما العالم الاستراتيچى الفرنسى چان ـ پول شارنيه هما : استرتيچية العقرب واستراتيچية

العنقاء . وهذه التحديدات الاصطلاحية تدخل ضمن معتقدات استراتيچية عديدة من الممكن أن تتعلق بالحرب الإسرائيلية القادمة والتى من المؤكد بأن العنصر النووى سيدخل فيها كعامل أساسى وحتمى . فبعد الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ التقليدية أمست الضرورة النووية لنقل الصراع الإسرائيلى العربى إلى موقع متصاعد آخر من قبل إسرائيل ومن قبل العرب أنفسهم أيضاً

استراتيچية أمنية واستراتيچية نووية :

من المبادىء الأساسية التى اعتمدها فى استراتيچيتها الأمنية القومية ، هو الردع عن طريق الانتقام المباشر والرد السريع على كل عدوان على حدودها أو على أحد مواطنيها فى داخل إسرائيل أو خارجها ، بل وخاصة فى الخارج . فمعظم العمليات الفدائية التى قامت بها المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل فى الخارج ، ردت عليها إسرائيل بسرعة سواء عن طريق قصف مواقع الفدائيين أو القيام بغزو لبلد عربى ما ، « لبنان مثلاً » .

إن هذا الإجراء الأمنى القومى يشكل ركناً أساسياً من استراتيچية إسرائيل فى حربها مع العرب . ويتوخى تأكيد نزعتين تحرص إسرائيل على إبرازها للعالم العربى ولجمهورها الداخلى هما: ـ ١ ـ الحفاظ على «كرامة» إسرائيل دولياً وأمام المواطن الإسرائيلى نفسه عن طريق إبراز قدرتها الضاربة المتهيأة للتصدى لأى اعتداء على مواطنيها فى الخارج أو على حدودها الآمنة ، وإبراز قدرتها على قيادة عدوان مضاد ومباشر يحقق معنوياً وفكرياً التفوق الإسرائيلى على الدول العربية مجتمعة . ويمكن وضع غزوها للبنان عام ١٩٨٢ أو قصفها لمواقع منظمة التحرير فى تونس فى أيلول ١٩٨٥ ضمن هذا الإطار الأمنى الاحترازى .

٢ ـ والنزعة الثانية التى تريد إسرائيل تأكيدها هى قدرتها على الردع عن طريق التفوق العملياتى والتفوق التقنى كمياً ونوعياً على صعيد الأسلحة ، وهذا بالضرورة يحقق نمطاً من الردع المعنوى الاستباقى اتجاه غريمها الأساسى : البلدان العربية

إن هذه الخطوط الأمنية هى قواعد واتجاهات نظرية دائمية تلتزم بها إسرائيل إضافة إلى ممارستها الأمنية التطبيقية على مستوى التسلح والتطوير التكنولوجى الدائب للصنوف الفعالة داخل جيشها . ومن ثم تطوير الخطة الأمنية النظرية باتجاه يتواكب مع التطورات الطارئة على الطبيعة النوعية التسلح فى بلدان الشرق الأوسط العربية أو الإسلامية . ونرى ذلك جلياً فيما يخص السلاح النووى والاحتمالية الواسعة لدخول العامل النووى كطرف تقنى جديد فى الصراع العسكرى العربى ـ الإسرائيلى .

لقد بنت إسرائيل ، نتيجة لهذا الاحتمال ، حداً نظرياً جديداً فى استراتيجيتها الأمنية . فان امتلاك الباكستان ، كدولة إسلامية ، القنبلة النووية ثم قيام العراق بمشروع بناء مفاعل نووى ، طرح لدى إسرائيل احتياطات جديدة لهذه « الظاهرة » المستجدة ، فأسست موقفاً نظرياً مبدئيا لمواجهتها يتلخص فى عدة خطوط عامة أبرزها : إن إسرائيل ، بادىء ذى بدء ، ضد أى قوة نووية عربية كانت أو إسلامية (باكستانية) ، وقد أخذت بنظر الاعتبار التأخر التكنولوجى العربى كعامل يقلل من شكوكها ومخاوفها إزاء احتمالية امتلاك البلدان العربية السلاح النووى . ثم إنها شبه متيقنة بأن قوى المعسكر الاشتراكى سوف لن تزود العرب بقوة نووية رغم مساعداته الكثيرة والمتقدمة فى مجال الأسلحة التقليدية ، فى حين أن الغرب (والولايات المتحدة بالذات) ، مستعد لمساعدة إسرائيل نووياً إذا اقتضى الأمر .(٢٤)

لكن ، وفى مقابل ذلك ، تدرك إسرائيل بأن قوة البترو ـ دولار التى يملكها العالم العربى تؤهل العرب لأن يبتاعوا سلاحاً نووياً من الغرب أو يطوروا إمكانيات تقنية نووية . وأن أى دولة بترولية لا تسير فى الاتجاه السياسى الذى انتهجه السادات فى الصلح مع إسرائيل ، لا تتردد فى استخدام السلاح النووى ، فى حالة امتلاكها له ، من أجل إنهاء النزاع مع إسرائيل عن طريق القوة العسكرية . وإسرائيل على يقين تام بأن العرب لو امتلكوا القنبلة النووية فإنهم سوف لن يحجموا عن استخدامها ضد إسرائيل فى حالة نشوب حرب بالأسلحة التقليدية تتضمن احتمال انتصار إسرائيل . كما أن امتلاك العرب السلاح النووى يجعل الانتصار العسكرى العربى أمراً مؤكداً ، سواء عن طريق استعمال هذا السلاح بشكل مباشر ، أو تحقيق الانتصار عن طريق حرب تقليدية يكون السلاح النووى فيها عامل ردع لإسرائيل لمنع انتصارها عن طريق القيام بعمل عسكرى حاسم . وعلى هذا الأساس يتوجب على إسرائيل امتلاك القوة النووية لتحقيق الردع المقابل ولصيانة ديمومتها وأمنها القومى . وعن طريق امتلاك القنبلة النووية تستطيع إسرائيل أن تمنع أى عدوان نووى عربى فى حالة حصول العرب على السلاح النووى ، وإن حصل مثل هذا العدوان فإنها

تستطيع أن ترد بالمثل عن طريق ضرب العواصم العربية الاستراتيجية مثل القاهرة وبغداد ودمشق، خاصة وأن المدن العربية برمتها غير محصنة ضد السلاح النووى وهذا النقص يشكل ردعاً ذاتياً للبلدان العربية عن استخدام السلاح النووى ضد إسرائيل فى حالة امتلاكه . وتعتمد إسرائيل على هذه النقطة من « الردع الذاتى المقابل » فى استراتيجيتها النووية المستقبلية.

كما أن إسرائيل تستطيع استخدام السلاح النووى من خلاله ضربة نووية استباقية فى حالة قيام حرب تقليدية قد ينتصر فيها العرب ، فالسلاح النووى هنا لا يجعل كفة العرب هى الرابحة ولايسبب انهيار إسرائيل ، ولذلك فإن امتلاك السلاح النووى أمسى ركنا نظرياً أساسياً فى نظرية الأمن القومى لمواصلة تحقيق الردع والتفوق العسكرى على الدول العربية مجتمعة .

وفيمايخص تحويل إسرائيل إلى دولة نووية ، هناك ثلاثة اتجاهات داخل المؤسسة السياسية ـ العسكرية الإسرائيلية :

١ ـ اتجاه ضد التسلح النووى .

ويمثله الجنرال الآن والجنرال روبين والسياسى الإسرائيلى أبا ايبن . ويرى هذا الاتجاه بأنه لا موجب لتصعيد الصراع مع العرب بأكثر مما هو عليه الآن ، فعلى إسرائيل أن لا تزيد من عدائية وكره العرب لها أكثر مما هم عليه الآن ، وعليها أن تخلق نوعاً من الطمأنينة الاجتماعية لدى مواطنها الإسرائيلى والمواطن العربى وتعينها على التعايش السلمى وقبول إحدهما للآخر ، الأمر الذى سيرسخ أمن إسرائيل ووجودها ، خاصة و أنها فى وضع عسكرى قوى ولها حدود استراتيجية آمنة ، ثم أن المساعدات الأمريكية لها عامل مساعد على صيانة الأمن والديمومة الإسرائيليين بدون الحاجة إلى اللجوء للعامل النووى .

٢ ـ الاتجاه الثانى هو الاتجاه النووى المعتدل :

والذى كان يمثله كل من بن غوريون وموشى دايان وكذلك شمعون بيريز ، مثله كذلك لفترة مؤقتة مناحيم بيغن قبل أن يمسى من الدعاة المتطرفين للسلاح النووى .

ويقضى هذا الاتجاه بإعادة الأراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ولكن مع تحقيق امتلاك أكيد القنبلة النووية ، كبديل للحدود الآمنة السابقة ، وعدم التردد فى استعمالها فى حالة هجوم عسكرى عربى على إسرائيل .

٣ ـ اتجاه نووى متطرف :

ويمثله بالدرجة الأولى آريل شارون ثم مناحيم بيغن الذى كان نووياً معتدلاً ، وهما من الذين

تعرضوا إلى الهولوكوست والإبادة الجماعية لليهود على يد النازية فى أوروبا ، ومن هنا جاءت سياستهم المتشددة مع قوى المقاومة الفلسطينية فى بيروت ، ونراهم يصرون على دخول العامل النووى إلى إسرائيل لسد الثغرة الحاصلة فى عدم التوازن العسكرى العربى الإسرائيلى بسبب التطور التكنولوچى المتصاعد فى البلدان العربية بفضل المساعدات فى الخبرات والمعدات التى قدمها الاتحاد السوفيتى لهذه البلدان.(٢٥)

إن التجربة والزمن الاستراتيچى * قد دفعا بإسرائيل فى النهاية لأن تتبنى الاتجاه الثالث و خاصة أن مطلع سنوات الثمانينات قد حمل تطوراً كبيراً في السلاح والاستراتيچية العربيين سوف نتطرق إليهما بعد قليل .

من هذه المتغيرات العامة استطاعت إسرائيل أن تتوصل إلى معطيات نهائية شاملة لنظرية أمنية نووية ، هى كما يسميها الاستراتيچى الفرنسى چان ـ بول شارنيه بـ «استراتيچية العقرب و استراتيچية العنقاء » وهى الحدود النهائية والقصوى التى يمكن أن يقود إليها دخول العامل النووى كأفق جديد داخل الصراع . فيرى أن المنطق المطلق للردع النووى سيجرُّ إسرائيل إلى اتباع استراتيچية العقرب القاضية بأن تقتل نفسها لتأمين الخلاص من نطاق النار النووية العربية المؤثرة داخل « حدودها » الإقليمية . وهذا يعنى بأنها لو واجهت حقاً خطراً نووياً عربيا ، فإنها سوف تحرص على البدء بضربة استباقية نووية تدمر فيها البلدان العربية الهامة كأهداف استراتيچية وسوف لا تبالى بعد ذلك بالرد النووى الانتقامى العربى الذى سوف يدمرها بدوره ولكن بعد أن حققت هدفها الاستراتيچى تجاه أعدائهاواختارت هذه النتيجة بإرادتها. ولذلك فإن إسرائيل تصر بقوة على امتلاك السلاح النووى ، فإن امتلاكها لهذا السلاح سيجعلها قادرة على فرض شروطها التى تحكم مصالحها . ولذا فإن اختيارها الإرادى للغرق مع عدوها (الدول العربية) داخل حرب نووية اتفاقية ومؤقتة ، سيساعدها على البقاء فيما بعد وعلى التطلع إلى أفق استراتيچى جديد هو فعل الولادة والانبعاث مرة أخرى . وهنا تتجلى استراتيچية ثانية مكملة هى استراتيچية العنقاء التى تنبعث من جديد بعد موتها. بيد أن هذا الانبعاث سيكون ذا ثمن باهظ هو استهلاك تام لسمعتها ورصيدها العالميين إضافة إلى هياج عربى شعبى ساحق يعلن الحرب على إسرائيل وينادى

---

* *الزمن الاستراتيچى le temps strategique : مفهوم يتضمن المسار التطورى التراكمى للتجربة والنظرية العسكرية السياسية مقترنة بالمجال الزمنى كوعاء يحتوى هذه الصيرورة الطردية للخبرة التكتيكية فى الحرب والسياسة .*

بتدميرها . فلحد الآن لم تفلح أية حرب بين العرب و إسرائيل ، سواء كانت نتيجتها انهزام العرب أو انتصارهم المحدود ، على ثني العرب عن عزمهم في مواصلة المعركة حتى النهاية حتى لو كان هذا العزم متأتيا من تصريحات شفهية فحسب ، فإنه يبقى ذا فعالية استراتيجية عميقة الأهمية .(٢٥)

المتغيرات والضرورات الأمنية الجديدة :

إن نظرية الأمن الإسرائيلي قد بنت نفسها على التفوق والاحتفاظ به ، ثم تطورت بشكل موازٍ للاحتمالات المتعلقة بظهور العامل النووي . لكنها وجدت نفسها تجاه ضرورات جديدة في سنوات الثمانينات عندما انبثق تطور تصاعدي سريع داخل الوضع العسكري العربي نتيجة للمتابعة والخبرة المتزايدة التي خلقتها النزاعات العسكرية التي نشبت في السنوات الأخيرة داخل المنطقة . فقد تصاعدت القدرة التقنية والعملياتية للجيش السوري بفضل الاستمرار في عملية التسلح والحصول على الأسلحة الحديثة والمتطورة من الاتحاد السوفيتي الأمر الذي منح هذا الجيش كفاءة تقنية هامة ومتقدمة توازي القدرة التقنية المتطورة للجيش الإسرائيلي . ومن جهة أخرى اكتسبت الجيش السوري خبرة عملياتية جديدة بسبب التجربة العسكرية السورية في لبنان والمواجهة مع إسرائيل أثناء غزو عام ١٩٨٢ .

كما أن القدرة التقنية والعملياتية للجيش العراقي قد اكتسبت تطوراً متصاعداً بسبب الحرب مع الجمهورية الإسلامية ، فقد ارتفعت الكفاءة التقنية له بشكل متطور وكبير بفضل المساعدات في الأسلحة المتقدمة والخبرات التي قدمتها الدول الغربية إلى العراق والتي لم تقدمها سابقاً إلى بلد آخر . هذا بالإضافة إلى المساعدات في المعدات العسكرية التي يقدمها الاتحاد السوفيتي إلى الجمهورية العراقية منذ مدة طويلة .

نتيجة للتطور الجذري الهام للجيوش العربية في السنوات الأخيرة أمسى ميزان القوى مع إسرائيل ذا معادلات مخالفة تحتم عليها الاعتماد على قوى إضافية جديدة في استراتيجيتها العسكرية لتحقق الهدف العام الأسبق وهو الاستمرار في التفوق العسكري على الجيوش العربية مجتمعة .

إن الاحصائيات والاستقصاءات التالية ، حسب تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن تبيِّن هذا الاختلال التام في ميزان القوى العسكرية بين إسرائيل والدول العربية ، هذا مع الإشارة بأننا سوف لن نذكر من الجانب العربي سوى العراق وسوريا بسبب خروج مصر من المواجهة العسكرية

ثم سعى الأردن لإيجاد صيغة ما لحل سلمى مع إسرائيل ، ثم أن القيمة التسلحية للجيش الأردنى قليلة الأهمية مقارنة للجيشين السورى والعراقى مع الأخذ بنظر الاعتبار بأن هذا الجيش (أى الجيش الأردنى) إضافة إلى الجيوش العربية الأخرى يعتبر جيش مواجهة دائمة مع إسرائيل إذا اقتضى الأمر ، هذا ما تأخذه إسرائيل بالحسبان ، ناهيك عن الإضافات المتتالية للعامل البشرى للجيوش العربية . غير أن جيشى العراق وسوريا مؤهلان حالياً لاختراق ونسف نظرية الأمن الإسرائيلى السابقة والقائمة على التفوق العسكرى للجيوش العربية مجتمعة .

وفى الإحصائيات التالية سوف لن نذكر الأرقام التفصيلية لكل المعادلات الهامة والمتعلقة بالمساحات الجغرافية السياسية أو بالأمور التفصيلية للمستوى التقنى للجيوش بل سنكتفى بالأرقام المتعلقة بالصنوف الأكثر أهمية ، وبالعوامل الأكثر حسماً داخل الصراع العسكرى، والجدير بالذكر أن الإحصائية التالية هى آخر إحصائية صدرت لحد الآن وتشمل العامين ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ :

إسرائيل :

ـ مجموع القوات المسلحة النظامية : ١٧٥ ألف شخص (بينهم حوالى ١٢٠ ألف مجند).
ـ الاحتياطى الإجمالى العام : ٣٧٥ ألف شخص .
ـ مجموع القوات المسلحة بعد ٢٤ ساعة على إعلان التعبئة العامة : ٢٧٥ ألف شخص .
ـ مجموع القوات المسلحة بعد ٧٢ ساعة على إعلان التعبئة :٥٥٠ ألف شخص .(٢٧)
ـ القوات البرية فى حالة التعبئة العامة : ٤٥٠ ألف شخص .
ـ سلاح الجو : ٣٠ ألف شخص (بينهم ٥ آلاف مجند)
ـ سلاح البحرية فى حالة التعبئة العامة : ٢٠ ألف شخص .
ـ عدد الدبابات : ٤٤٠٠ .
ـ عدد العربات المدرعة : ١٠٦٠٠
ـ قطع المدفعية الثقيلة : ١٦١٥
ـ راجمات الصواريخ : ٥٠٠
ـ منصات صواريخ أرض ـ أرض : حوالى ٥٠ .
ـ التشكيلات البرية الرئيسية : ١١ فرقة مدرعة (تتألف كل منها من ثلاثة ألوية مدرعة ولواء

مشاة ميكانيكية) . وتضم هذه الفرق الوحدات التالية : ٣٣ لواء مدرعاً يتألف كل منها من ٣ كتائب دبابات وكتيبة مشاة ميكانيكية ، ١٣ لواء مشاة ميكانيكية ، ١٥ لواء مشاة مستقل، ٥ ألوية مظليين وقوات محمولة جواً ، ١٥ لواء مدفعية .(٢٨)

ـ مجموع الطائرات العاملة : ١٣٩٢

ـ عدد الطائرات القتالية القتالية الرئيسية (الصف الأول) : ٦٢٠ طائرة إضافة إلى ٦٠ هليكوبتر هجومية .

ـ مجموع عدد الطائرات الرئيسية والمساندة (الاحتياطية) ٧٥٨ .

ـ مجموع عدد الأسراب العاملة : ٤٢ .

ـ القواعد الجوية الرئيسية : ١١ (بالإضافة إلى ٢٣ قاعدة ثانوية أخرى) .

ـ القوات البحرية : ٣ غواصات و٢٨ قطعة سطح وثلاث قواعد بحرية رئيسية . وعدد كبير من الزوارق الفعالة بينها ٢٤ زورقا هجومياً صاروخياً .

سوريـــــا :

ـ مجموع القوات المسلحة النظامية : ٣٣٠ ألف رجل (بمن فيهم نحو ١٥٠ ألف مجند).

ـ الاحتياط الاجمالى العام ٥٠٠ ألف رجل .

ـ القوات شبه العسكرية : حوالى ٤١٠ ألف شخص (بمن فيهم ٤٠٠ ألف شخص من أفراد الجيش الشعبى) .

ـ المجموع عند التعبئة العامة : ٨٣٠ ألف شخص .

ـ قيادة الدفاع الجوى : ٥٠ ألف شخص (من التابعين للجيش ولسلاح الجو)

ـ سلاح الجو : ٧٥٠ ألف شخص .

ـ سلاح البحرية ٥ آلاف شخص .

ـ عدد الدبابات ٤٢٠٠ .

ـ عدد العربات المدرعة : ٣٦٠٠ .

ـ قطع المدفعية الثقيلة : ٣٠٠٠

ـ راجمات الصواريخ : ٥٠٠

ـ التشكيلات البرية الرئيسية : ٦ فرق مدرعة تتألف الواحدة من لوائين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكية ، وفرقتى مشاة ميكانيكية تتألف الواحدة من لواء مدرع ولوائى مشاة ميكانيكى ، ولواءين مدرعين مستقلين ، ٤ ألوية مشاة ميكانيكية مستقلة ، ١٠ ألوية مدفعية مستقلة ، ١٢ فوجاً وحدات خاصة ، ٣ أفواج مظليين وقوات محمولة جواً ، ٣ أفواج صواريخ تكتيكية أرض ـ أرض .

ـ مجموع القوات البحرية : ٥٠٠٠ رجل والاحتياطى ٥ آلاف رجل أيضاً و٢٤ قطعة قتالية رئيسية و ٢٢ زورق هجوميا صاروخيا .

العـراق :

ـ مجموع القوات المسلحة النظامية : ٥٢٠ ألف شخص (بمن فى ذلك حوالى ٢٠٠ ألف من المجندين) .

ـ الاحتياطى الإجمالى العام : نحو ٢٨٠ ألف شخص (منهم نحو ٢٠٠ ألف يعملون حالياً فى القوات المسلحة)

ـ القوات شبه العسكرية : نحو ٤٦٠ ألف شخص (بمن فى ذلك ٤٥٠ ألفاً من قوات الجيش الشعبى)

ـ المجموع العام للقوات النظامية الدائمة : ٣٢٠ ألف شخص

ـ المجموع عند التعبئة العامة : حوالى ٦٠٠ ألف شخص .

ـ الجيش (القوات البرية) حوالى ٤٧٥ ألف شخص (منهم حوالى ٢٠٠ ألف من المجندين)

ـ سلاح الجو : ٤٠ ألف شخص .

ـ سلاح البحرية : ٥ آلاف شخص .

ـ عدد الدبابات : ٣١٦٠

العربات المدرعة : ٤٠٠٠

ـ قطع المدفعية الثقيلة : ٢٢٨٠ .

ـ راجمات الصواريخ : ٤٠٠ .

ـ منصات الصواريخ أرض ـ أرض : حوالى ٤٨ .

ـ التشكيلات البرية المختلفة : ٤ فيالق مختلطة (يضم الفيلق الواحد عادة ٢ ـ ٣ فرق مدرعة و ميكانيكية من الفرق المدرجة : ٦ فرق مدرعة ، ٥ فرق مشاة ميكانيكية ، ٨ فرق مشاة / فرق جبلية (من بينها فرقتان من الألوية الاحتياطية) ، فرقة حرس جمهورى واحدة (تتألف من لوائين مدرعين) ، ٣ ألوية قوات خاصة (معظمها من الوحدات المحمولة جواً بطائرات الهيليكوبتر) ٣ ألوية احتاطية مشاة ، ١٥ لواء متطوعين (تتبع قوات الجيش الشعبى) ، ٣ ألوية متطوعين عرب (من الأردن و مصر والسودان والمغرب و جنسيات عربية أخرى) .(٢٣)

ـ مجموع عدد الطائرات العاملة : ١١٤٠ .

ـ عدد الطائرات القتالية الرئيسية : ٤٢٠ بالإضافة إلى حوالى ١٥٠ هليكوبتر هجومية).

ـ مجموع عدد الأسراب العاملة : ٣٩ .

ـ عدد الأسراب القتالية الرئيسية : ٢٤ .

القواعد الجوية الرئيسية : ١

ـ القوات البحرية : ٤٩ قطعة بحرية عاملة بينها ١٨ قطعة قتال رئيسية ، موزعة على ثلاث قواعد بحرية رئيسية ، وتتضمن القطع العاملة ٤ فرقاطات صاروخية من فئة « لوبو » فرقاطة واحدة إزاحة ١٨٥٠ طناً ، ٦ سفن حراسة ، ٨ زوارق هجومية صاروخية ، زورقين هجوميين ، مدفعين ، ٦ زوارق طوربيد .(٣٣)

من هنا نرى أن إسرائيل قد اعتمدت على العامل النووى كعامل رئيسى فى خلق قدرة جذرية جديدة لنظرية أمنها القومى السابقة ، قدرة موازية للنقلة التقنية والكمية و النوعية ، التى طرأت على الجيوش العربية .

إن القراءة العامة لهذه الجداول الثلاثة تمنح قناعة تامة بالتفوق العربى كماً ونوعاً فى المعدات وفى العامل البشرى ، ثم إن هذا التطور المتصاعد فى الخبرة التقنية وكمية المعدات قد اقترن باكتساب خبرات قتالية وميدانية جديدة ، ولا سيما عند دول المواجهة مثل سوريا والعراق . ففى حسابات الاستراتيجيين الإسرائيليين بأن العراق قد خلق جيشاً ذا خبرة نادرة من خلال تجربته فى الحرب مع إيران ، إضافة إلى تزايد معداته العسكرية وحداثتها ، ناهيك عن الازدياد العددى والنوعى للمعدات العسكرية للجيش السورى .

أمام هذه المتغيرات الجذرية المستجدة لا تجد إسرائيل مناصًا فى الحفاظ على تفوقها إلا عبر

حصولها على السلاح النووى ، ومضاعفة التطور والإمكانية أو القدرة التقنية لهذا السلاح .

إن دخول السلاح النووى إلى الجيش الإسرائيلى هو جانب تقنى بحت ، سيرافقه بالضرورة تطوير للجانب الفكرى العسكرى على صعيد الاستخدام العملياتى ، والتعبوى له . غير أن امتلاك إسرائيل للسلاح النووى لا يعنى أبداً الاكتفاء به وعدم تطوير التنظيرات الاستراتيچية المتعلقة بالأسلحة الأخرى أو بالجوانب العسكرية الأخرى التى تكون العمود الأساسى فى العسكرية الإسرائيلية فلقد أدركت القيادة العسكرية بأن التطور الجديد الحاصل فى الجيوش العربية يتطلب خلق نظرية استراتيچية أمنية جديدة تعتمد على مقومات تلبى حاجة التغيرات الراهنة فى صفوف العدو ، وتحل محل التنظيرات الأمنية والاستراتيچية السابقة وتبنى أسساً حديثة للمنظومات الاقتصادية ـ العسكرية والتنظيم الإدارى ـ العسكرى ، أو السياسة الخارجية المتعلقة بالبناء العسكرى ... وما إلى ذلك .

وفى نهاية السبعينات شرع الاستراتيچيون الإسرائيليون بوضع أسس إضافية على نظرية الأمن القومى الإسرائيلى ، دون التغيير فى البنى التى اعتُبرت أساسية فى السابق و لا غنى عن ديمومتها مع إمكانية رفدها بجوانب تأسيسية جديدة .

إن أهم ما يمكن أن يشير إلى اتجاه إسرائيل فى بناء نظرية أمنية جديدة للثمانينات هو القرار الذى اتخذه وزير الدفاع الإسرائيلى عازر وايزمان فى مطلع شهر كانون الأول ١٩٨٠ والقاضى باستدعاء اللواء المتقاعد يسرائيل تال من الاحتياط وتعيينه على رأس قيادة القوة البرية المستحدثة(٣٤) ولا شك فى أن هذا القرار يحمل أهمية بالغة ، فتال هو نائب سابق لرئيس أركان الجيش الإسرائيلى ، وقد استقال من منصبه احتجاجاً على عدم تعيينه فى منصب رئيس الأركان محل دافيد أليعازر بعد استقالة هذا الأخير من منصبه على أثر حرب تشرين ١٩٧٣ وعلى الرغم من أن تال استمر يحمل رتبة لواء فى الاحتياط إلا أن دوره المباشر على صعيد الجيش قد انتهى عملياً إثر استقالته ، لكنه انصرف بالمقابل إلى أعمال التأليف والبحث النظرى فى المجالين الاستراتيچى والتاكتيكى العملياتى.(٣٥)

إن يسرائيل تال من أبرز المفكرين العسكريين الإسرائيليين ، وتجمع الآراء على أنه المسؤول الأول والأساسى عن وضع وتطبيق المبادىء الاستراتيچية والتاكتيكية للقوات المدرعة الإسرائيلية خلال الستينات والسبعينات ، ولهذا فإن تعيينه رئيساً للقوات البرية يعتبر بداية لتأسيس نظرية أمنية جديدة تتواكب مع المتطلبات الحاصلة فى موازين أطراف الصراع العربى ـ الإسرائيلى .

فأثناء وجود تال خارج الخدمة العسكرية الفعلية ، كتب دراسة مطولة عام ١٩٦٧ بعنوان «

عقيدة الأمن القومى الإسرائيلية : خلفيتها وحركتها » وتتضح الأهمية العميقة للدراسة من كونها بوادر تنظيرية تأسيسية جديدة فى نظرية الأمن القومى ، حيث تتناول تطور العقيدة العسكرية فى إسرائيل منذ إنشائها . وحلل تال التطبيقات التكتيكية والعملياتية والتنظيمية الناشئة عن تلك العقيدة ودعا إلى إعادة النظر فى الكثير من الجوانب التى اشتملت عليها ، وركز على احتمالات تطويرها المستقبلية مبرراً ذلك بقوله « يتضح من خلال المراجعة بأن الفكر العسكرى الإسرائيلى ، حتى يومنا هذا ، ليس إلا سلسلة من الهوامش التى تم إلحاقها وإضافتها على العقيدة الأساسية التى تبلورت فى إسرائيل خلال الخمسينات ، ويصبح من الضرورى والمفيد فى هذه الحالة النظر إلى الخلف من أجل تحليل ودراسة المعطيات التى أدت إلى تأسيس هذه العقيدة . إذ أنه على الرغم من الاصلاحات والتغييرات العديدة التى تم إدخالها ، ولم تكن تؤدى دائماً إلى الأفضل فإن الأسس بقيت هى نفسها ».(٣٦)

وتتلخص الاستنتاجات التى توصل إليها تال بتركيزه على الصعيد الاستراتيچى الشامل على ضرورة استمرار إسرائيل فى العمل من أجل الاحتفاظ بتفوقها « النوعى » لمواجهة « الكم » العربى مع اعترافه بصعوبة مثل هذه المهمة نظراً للتقلص المستمر فى الفارق النوعى بين الطرفين . وشدد تال على الترابط القائم بين مسألتى « الكم والنوع » من جهة و « العمق الاستراتيچى » من جهة أخرى ، متوصلاً إلى استنتاج يدعو فيه إلى بقاء المبادرة فى يد « القلة » المتفوقة نوعياً عن طريق التعلق باستراتيچية « الضربة الاستباقية الأولى » بهدف نقل المعركة فى أسرع وقت إلى عمق الطرف المعادى .(٣٧)

وعلى الصعيد التكتيكى العملياتى أكد تال على ضرورة تعزيز الجيش « المتفرغ » عددياً ، و زيادة تخصصه الفنى والتكنولوچى ، ولو أدى ذلك إلى التقليل من الأهمية التاريخية لمبدأ الجيش الشعبى « الميليشيا » الذى سارت عليه إسرائيل منذ إنشائها . ثم جدد تأكيده على أهمية القوات المدرعة المتحركة واعتبارها « الوحيدة القادرة على نقل الحرب إلى أرض العدو وحسمها لغير صالحه » .

لقد وافق وزير الدفاع الإسرائيلى وايزمان على اقتراحات تال فى الشهر الأخير (ديسمبر) من عام ١٩٧٩ . وصرح وايزمان بأن إصلاحات تال ستؤدى إلى دخول القوات المسلحة الإسرائيلية إلى سنوات الثمانينات بشكل أقوى وأكثر توحيداً وأعلى فعالية من أى وقت مضى ، (٣٨) أى أن مقترحات تال ستكون الأسس المتحكمة بصياغة نظرية الأمن القومى الإسرائيلى فى الثمانينات علاوة على تضمنه لبناء تأسيسى و لقواعد أخرى تشمل النواحى الاقتصادية والسياسية الخارجية

والبناء الاجتماعى وعلاقته بالمنظومة العسكرية الإسرائيلية، هذا إضافة إلى الدقة الجديدة فى الفروع التقنية والمتخصصة للتطبيق العملياتى الحربي ، ومن هذه الأسس نستطيع أن نتبين الخطوط العامة لفكرة الأمن القومى الإسرائيلى فى الثمانينات ، والأركان الاستراتيجية العسكرية كعامل تنفيذى لهذه النظرية .

ومن الجدير بالذكر أن العناصر المستجدة على الصعيد السياسى والتى ستأخذها إسرائيل بعين الاعتبار فى صياغة استراتيجيتها الأمنية لسنوات الثمانينات هو خروج مصر من المعركة بعد زيارة السادات لإسرائيل عام ١٩٧٧ وعقد اتفاقية كامب ديفيد لتكريس السلام بين مصر واسرائيل . وبذلك فإن كل نزاع عربى ـ إسرائيلى جديد يبقى شيئاً غير وارد فى الحسابات العقلانية مادام الوضع باقياً على ما هو عليه ، وأن البلد الوحيد الذى يستطيع أن يغير هذا الوضع هو مصر عبر قيامها بعملية ما داخل الأراضى الإسرائيلية .(٣٩)

لكن هذا التوقع الإسرائيلى يبقى ضعيفاً مثل توقعاتها السابقة التى ظهرت بعد حرب ١٩٦٧ ، والتى قامت على أمل الضعف الاقتصادى المصرى بعد إغلاق قناة السويس(٤٠) واحتمالاتها لأن يكون ميناء إيلات مركزاً هاماً على الطريق الملاحى المتوجه إلى آسيا عوضاً عن قناة السويس متناسية فى احتمالاتها المساعدات العربية لمصر كدولة مواجهة أولى فى النزاع العربى الإسرائيلى.

والأمر الثانى الذى تعتقده إسرائيل هو أن العرب لن يقوموا بضربتهم الاستباقية الأولى و سيكون زمام المبادرة بيد إسرائيل على الدوام . وهذا ليس اعتقاداً إسرائيلياً فقط بل اعتقاداً عالميا بأن الضربة الاستباقية الاستراتيجية ستكون بيد إسرائيل ، وحتى فى أحسن الأحوال فإن بعض القوى العالمية التى لا تظن أن الضربة الاستباقية ستكون بيد إسرائيل فحسب لا تظن أن العرب أو الإسرائيليين راغبون حالياً فى أخذ المبادرة وشن العدوان ، ويمثل الاتحاد السوفيتى هذا الرأى .(٤١)

لقد أخذت إسرائيل بعين الاعتبار عند صياغة نظريتها الأمنية فى الثمانينات بأن القوة الجوية لم تعد عامل حسم داخل المعركة مثلما استخدمتها فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، لكنها أمست عاملاً مساعداً بشكل هام من غير أن يتوقف عليه حسم المعركة ، ففى حرب حزيران ١٩٦٧ اعتمدت إسرائيل على قوتها الجوية بشكل أساسى بالرغم من قوة تنظيم وتجهيز وتنقية جيشها البرى ، فقد استعملت القوة كعامل يساعد فى حسم المعركة البرية ، فكما يرى الجنرال بوفر أن المعركة البرية الكلاسيكية تمسى ذات كسب أكيد إذا ما سوندت بتفوق جوى على العدو .(٤٢)

إلا أن هذه المعطيات العملياتية التاكتيكية قد تغيرت فى حرب تشرين ١٩٧٣ بفضل صواريخ «

سام » السوفياتية التى امتلكها العرب الذين أدركوا أهمية التفوق الجوى الإسرائيلى وضرورة معالجته بوسيلة تقنية خاصة . فقد أراد الإسرائيليون فى حرب ١٩٧٣ مواصلة الاستخدام الحاسم لطائراتهم الهجومية لكن سلاحهم الجوى أصيب بخسائر فادحة (٤٣). مما جعلهم إزاء أمر واقع جديد يحتم تغيير استراتيجية الاعتماد على القوة الجوية كعامل حسم .

ومن جهة أخرى يرى بعض الاستراتيجيين أن التفوق الإسرائيلى لم يكن تقنياً فقط بل كان إلى حد كبير تفوقاً معنوياً فى نفسية الجنود والمقاتلين . فإن الجيش الإسرائيلى هو جيش شعبى بكل معنى الكلمة ، وكل الشعب الإسرائيلى مجند للقتال من أجل البقاء والاستمرار فى الحياة داخل دولتهم المهددة ، بينما الجيوش العربية لا تمتلك نفس هذه البنية التكوينية .(٤٤) ولذلك حرصت القيادة الإسرائيلية على الحفاظ على تفوقها المعنوى وحمايته من كل مؤثرات الصدمات الخارجية ، وذلك عن طريق الكذب الإعلامى وإيصال الحقائق معكوسة إلى مواطنها للحفاظ على ثباته وإيمانه بجيشه ، وبتفوق هذا الجيش ، فعلى سبيل المثال نرى أن الجيش الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد انهزم على الجبهة المصرية منذ الساعات الأولى للقتال بعد انهيار خط بارليف ، وتقدم القطعات المصرية فى سيناء فقد قامت كولدا مائير رئيسة الوزراء آنذاك بزيارة فورية بالطائرة إلى الجبهة فى مساء ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وشاهدت الجيش الإسرائيلى وقد خسر المعركة منذ الساعات الأولى ، ولكنها عادت بعد ساعات إلى تل أبيب لتظهر على شاشات التلفزيون الإسرائيلى وتخاطب الجمهور مؤكدة عدم خطورة العدوان العربى ، وأن الجيش الإسرائيلى سيلحق بهم خسارة فادحة(٤٥) كما أن موشه ديان الذى كان كلامه يمضى بثقة كبيرة لدى الشعب الإسرائيلى قام بزيارة للجبهتين المصرية والسورية فى اليوم نفسه ، وعاد إلى تل أبيب ليخاطب الناس من الإذاعة والتلفزيون قائلاً : « إن العرب لن يجنوا أى كسب من هذه الحرب (...) إن سكان تل أبيب يستطيعون النوم هذه الليلة ملء جفونهم وباطمئنان تام »(٤٦)

إن هذه الصيغ الخطابية الإعلانية تشير إلى المدى الذى تهتم به إسرائيل بمعنويات سكانها الذين يشكلون الأغلبية المقاتلة داخل جيشها القائم على القوة الاحتياطية ، ولذلك فإن المعنوية القتالية كانت جانباً هاماً من جوانب نظرية أمنها القومية . فعلاوة على الخطة التسلحية والمنظومة الاستراتيجية فى فكرها العسكرى ، احتل الجانب المعنوى والحرب النفسية جزءاً من خطتها الكلية ونظريتها الأمنية الجديدة ، والجانب المعنوى يتعلق بجبهتين : الجبهة الداخلية أى المواطن الإسرائيلى ، والجبهة الخارجية أى العرب حيث تتعامل معهم بمنطقية وهدوء ، وخاصة عبر إذاعتها العربية التى تذيع أفضل الأغانى لأحب المطربين للمواطن العربى مثل فيروز وأم كلثوم وعبد الحليم

حافظ وما إلى ذلك فى محاولة مؤثرة ، وفق منظور علم النفس الاجتماعى ، لتهيئة أرضية ذهنية لدى المستمع العربى للاقتناع بنشراتها الإخبارية ، بعد ذلك باعتبارها مصدر بث غير عدائى لمشاعره الخاصة ، غير أن هذه الإذاعة سرعان ما تفصح عن مشاعر العداء الواضح والمباشر فى حالة تعرض إسرائيل لخطر الهزيمة فى الحرب وتهديد كيانها ووجودها ، وهذا ما حصل فى حرب تشرين الأول ١٩٧٣ عندما فقدت الإذاعة « أعصابها » و « منطقها » الهادىء لتسقط فى الشتم والتهديد المباشرين مثل مخاطبة العرب بالعبارات التالية « سوف نحيل أيامكم إلى ليالٍ حالكة وسوف نريكم النجوم فى وضح النهار ، وسوف نمرغ وجوهكم وأنوفكم فى الوحل .... الخ »(٤٧) فالإذاعة تفصح عن نفسها عندما يتهدد وجود إسرائيل ويمسى المواطن العربى مدفوعاً بعاطفته الوطنية فى مواجهة عدو تقليدى شب نفسياً على مقاومته .

إن الحرب النفسية والاستراتيجية المعنوية قد احتلت جزءاً هاما فى النظرية الأمنية الإسرائيلية، وقد أخذتها القيادة العسكرية بنظر الاعتبار ضمن احترازاتها الجديدة لسنوات الثمانينات .

سنوات الثمانينات والهيكل النظرى الجديد :

تستند الأسس النظرية الأولية لبناء سياسة أمنية إسرائيلية فى الثمانينات على قاعدتين رئيسيتين يحددهما إسحاق رابين كما يلى : « القاعدة الأولى هى ضمان هوامش أمنية لدى تحديد الأهداف والتوجهات على افتراض إمكان حدوث تطورات تتجاوز ما يمكن توقعه . فإن مصير دولة إسرائيل مرهون بقدرتها على الدفاع عن نفسها بقوتها الذاتية ، وإن أى مساس بالحد الأدنى الضرورى المطلوب من ناحية القوة العسكرية والأرض التى تحتلها وشبكة علاقاتها مع الولايات المتحدة ، يستوجب جعل إسرائيل قادرة على أن تترك لنفسها هوامش أمنية كافية لمواجهة ما هو غير متوقع وسلبى ، والقاعدة الثانية هى توفير عامل المرونة فى بنية النظرية الأمنية ، أى تحديد السياسة ـ الأمنية وطرق العمل الواضحة لتوفير بدائل فى حالة عدم تحقيق هذه الاتجاهات كاملة»(٤٨)

والقوة العسكرية الإسرائيلية ستكون محكومة بخط نظرى عام يحدده إسحاق رابين كما يلى : « إن الهدف الأول والأساسى فى سياسة إسرائيل الأمنية للثمانينات هو أن تضمن عدم تغير نسب

القوى العسكرية بيننا وبين القوة العربية الشاملة التى قد تشترك فى الحرب لغير مصلحتنا ، بل يجب أن تحسن استخدام هذه النسب إن أمكن ذلك . وعلى إسرائيل أن تؤمن لنفسها من المصادر الداخلية (ولكن فى الأساس من المصادر الخارجية) التزود بالأسلحة المطلوبة إزاء تعاظم القوة العسكرية العربية الذى سيتحقق فى الثمانينات » .(٤٩)

ووفق ذلك يكون الأساس الأول هو التقوية المطردة للجيش الإسرائيلى ، ثم تأتى بعد ذلك أسس أخرى تلبى حاجة المتغيرات الحاصلة أو المتوقعة الحصول فى مرحلة الثمانينات .

إن نظرية الأمن القومى تتخذ بعداً أكثر عمقاً وجذرية عند أحد استراتيجيى إسرائيل الأكثر أهمية ، فيحدد المتطلبات الأمنية لها فى سنوات الثمانينات بقوله : « فى المفهوم العالمى ، إن الأمن القومى هو قضية نسبية وينطبق بشكل عام على المحافظة ، فقط ، على السيادة القومية ، أما بالنسبة إلينا (نحن الإسرائيليين) فالأمن القومى ليس عنصراً نسبياً بل مطلقاً ، لأن وجودنا المادى بالذات متوقف عليه ، أى فى حالتنا ، يغدو الفحوى الكامل لعبارة « أمن » مطابقاً لمفهوم الوجود عموماً . وقبل أن ندعو إلى استخدام واسع للقوة من أجل تحقيق أهداف قومية طموحة ينبغى أن نعين حدوداً لقوتنا . ولذا فإن قضية الأمن هى موضع لجدل شرعى عندنا » .(٥٠)

واستطراداً على ذلك ولأجل بناء نظرية أمنية قومية أكثر ارتباطاً بالجانب العملياتى العسكرى وبخلفياته الاستراتيجية ، يحاول الاستراتيجى الإسرائيلى اللواء يهو شافاط هركابى الإجابة على السؤال التالى « لماذا مال التفكير الاستراتيجى إلى الاهتمام بالحرب أكثر من اهتمامه بالسياسة الأمنية »(٥١) وللإجابة على هذا السؤال يحاول هركابى بناء تنظير أمنى إسرائيلى للثمانينات فيرى أنه « ليس هنالك تخطيط للنظرية الأمنية بل إنها تسبق التخطيط وتكون أساساً له ، فليس عمل الأركان هو الذى يؤدى إلى النظرية بل إن النظرية هى التى توجه عمل الأركان . ولذلك فإن القادة هم الذين يتوجب عليهم صياغتها كتخليص لفهمهم التاريخى وما يتمتعون به من رؤية . وأما عملية التخطيط فقد تأتى بعدئذ من أجل اختبار صحة النظرية وتوضيح مفاهيمها واستخلاص التفاصيل منها ، وفى الأساس يتم التوصل إليها عن طريق الاستدلال لا عن طريق الاستقراء »(٢٥) ثم يضيف « لا ينبغى أن تكون السياسة الأمنية قائمة على المراهنة . فعلى المستوى الاستراتيجى تسود الاستمرارية وليس الانقطاع . وعلى مستوى النظرية الأمنية لا ينبغى توقيع شيك من دون رصيد ، فالآماد الزمنية كفيلة بكشف السياسة التى لا غطاء لها ، وحتى لو انقضت سنوات ، سيبقى الضرر بالفائدة المركبة كما اتضح لإيطاليا التى انتهجت فى عهد ماسولينى سياسة أمنية تفوق قدراتها بكثير وانتهت إلى كارثة قومية (٥٣)

وحول مسألة الأمن الإسرائيلى بشكل عام وفى فترة الثمانينات بشكل خاص يرى الاستراتيجى الإسرائيلى يحزقئيل درور أن هناك ضرورات ماسة على مستوى التفكير والتخطيط ينبغى توفرها على الدوام فإن « مشكلات أمن إسرائيل تمر فى حالات من كسر الاستمرارية والانعطافات ، وهى حالات تتطلب إبداعاً كبيراً فى جميع مستويات التفكير والاستعداد الأمنى » (٥٤)

ويقول حول فترة الثمانينات والمتطلبات الأمنية الإسرائيلية خلالها « إن الحقبة الزمنية المذكورة هى فترة معقولة تماماً لوضع تخطيط أمنى عصرى ، لكن ينبغى الإشارة إلى مقتضيات استعداد لأمن قومى صحيح يتطلب رؤية لمديات أكثر بعداً ، وتقتضى توضيحاً لاتجاهات محتملة أو أزمات رئيسية ممكنة الوقوع . (٥٥)

إن أخطر ما تتضمنه نظرية البروفسور درور هو تحديده لعوامل التجديد والإبداع المطلوب إضافتهما إلى نظرية الأمن القومى الإسرائيلى خلال الثمانينات وهذه الضرورات الإبداعية ذات بعدين : سياسى وعسكرى ، نورد فيما يلى النص الكامل لفقراتها الخمس الأولى حسبما وردت فى دراسته المعنّونة « استعداد فكرى لمستقبل الأمن » * فيقول درورو إن التجديد والإبداع المطلوبين فى نظرية استراتيجية أمن إسرائيل فى الثمانينات تتمثل بما يلى :«

١ ــ تعزيز مسار السلام عبر استخدام حذر مدروس للتهديد الأمنى ، مثل التلويح لأنظمة الأردن والسعودية والفلسطنيين بالنتائج التى قد تسفر عنها حرب جديدة ، إذا ما نشبت نتيجة إحباطهم السلام .

٢ ــ توسيع مفهوم « كثافة الأمن الإسرائيلية » عبر تحديد « خطوط حمراء » مثل : تهديدات مبهمة ، أو مناطق أمنية وراء الحدود الإسرائيلية (لا يقبل فيها حشد قوات تتجاوز حداً معيناً) ، تعاون استراتيجى مع الولايات المتحدة ومصر وغير ذلك .

٣ ــ ردع على مستوى رفيع من الإحكام والمصداقية يتضمن « الاعتماد على البعد النفسى الحضارى ــ السياسى بالإضافة إلى قاعدته العسكرية ، بناء صورة واعية وصريحة لإسرائيل فى نظر الآخرين تشمل صورة الميل إلى ردة فعل زائدة ضد العدوان ، و استعداد للتحول إلى دولة

---

*سوف نورد الترجمة كما جاءت فى كتاب «أمن إسرائيل فى الثمانينات بغض النظر عن تصحيح أسلوبها العربى ذى البنية اللغوية الركيكة. فمسؤولية الصياغة تقع على عاتق المترجم .

«مجنونة » فى وجه تهديد متطرف ، وإظهار قدرة العمل الانتقامى فى العمق بواسطة ترقب فرص للقيام بعمليات استعراضية ، وماشابه ذلك .

٤ ــ تطوير قدرة ونظرية قتالية وضربة محدودة ، متدرجة ومسيطر عليها ، تتضمن وسائل قتالية غير فتاكة . وقد تشكل هذه الضربة رداً على تهديد أو هجوم شبه تقليديين وإتاحة المجال لعملية تدخل مبكرة فى نقاط معينة توجه ضد أنواع خاصة من التهديد ، حتى فى الأوقات التى توجد فيها قيود سياسية وداخلية .

٥ ــ رفض دخول الأسلحة النووية إلى الشرق الأوسط فى إطار سياسة إسرائيل المُعلنة فى هذا الشأن ، ولكن فى الوقت ذاته إجراء استعدادات لاحتمال تحويل الشرق الأوسط إلى منطقة نووية جزئياً بما فى ذلك ، على سبيل المثال ، تعاون مع دول عربية « عاقلة » * تجمعها بإسرائيل مصلحة مشتركة واضحة لمنع تهديدات متطرفة غير عقلانية .

٦ ــ فهم الحرب ضمن سياق سياسى واسع ، من خلال استعداد لمواجهة احتمال نشوبها والتخطيط لها وإدارتها بأشكال موجهة لتحقيق أهداف سياسية لتحسين « كثافة الأمن الإسرائيلى » بعد الحرب علاوة على الانتصار فى ساحة القتال . إن النظرة إلى القوة العسكرية والحرب ، ضمن سياق سياسى واسع ، ربما تكون التجديد الحيوى الأهم لإسرائيل على مستوى الاستراتيجية العليا»(٥٦)

وينتقل إسحاق رابين من الحد التنظيرى السياسى العسكرى للأمن القومى إلى المفهوم العام للأمن ، ومن ثم التأكيد على العامل العسكرى كركن أساسى فى نظرية الأمن الإسرائيلى . (٥٧)

لقد قامت الطبقة العسكرية الإسرائيلية ، وخاصة كوادرها الاستراتيجية ، باتخاذ كل الاحتياطات النظرية والعملية من أجل تطوير الصنوف العسكرية وتأكيد تكاملها العضوى وزيادة فعالياتها بشكل متوازٍ للتطورات التقنية والاستراتيجية الحاصلة فى سنوات الثمانينات . فعلى مستوى السلاح الجوى ــ البرى وفعالياته القتالية قامت القيادة الإسرائيلية بإضافة مهمات استراتيجية عسكرية جديدة على المهمات المتبعة منذ العام ١٩٥٠ لهذا السلاح ففى فترة الثمانينات

---

* *القوسان مضافان من قبلنا وليس فى النص الاصلى .*

غدت المهمات العملياتية لسلاح الجو تتركز فى :

١ـ تدمير البنية التحتية للدول المعادية (أي الدول العربية) وفقاً لأهداف القتال وتخطيطه .

٢ـ جمع وإعداد المعلومات الاستخباراتية الجوية الكافية والضرورية لتنفيذ المهام الأساسية لسلاح الجو والحصول على معلومات جوية لمقتضيات المهام الأساسية لأسلحة الجيش الإسرائيلى الأخرى وللأركان العامة والسلطة السياسية .(٥٨)

ولكى يتمكن سلاح المشاة الإسرائيلى من مواجهة تحديات ميدان القتال العصرى خلال فترة الثمانينات أقر الاستراتيجيون الإسرائيليون خطة عمل لتطوير الوسائل القتالية لجندى المشاة وتطوير قدرة السلاح المضاد للدروع وناقلة الجنود المدرعة ومواصلة تطوير وسائل الرؤية الليلية.(٥٩)

وبالأسلوب نفسه أقرت إسرائيل خططاً عسكرية جديدة متطورة لتصعيد كفاءة سلاح المدفعية(٦٠) ، وتطوير دباباتها وتصعيد الكفاءة التقنية لسلاح الدروع الإسرائيلى(٦١) والقوة البحرية العسكرية .(٦٢)

وإضافة إلى تطوير القدرة التقنية وخبرات الاستخدام لصنوف الأسلحة فى الجيش الإسرائيلى انبثق اتجاه عام فى الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية يعتبر الأكثر شمولاً ويخص خطة التعبئة العامة وفق منظور دقيق لتحريك القطعات العسكرية والتنسيق بينها وبين وسائلها القتالية داخل ميدان المعركة ضمن تحديد زمانى ـ مكانى دقيق فى استخدام القطعات وجعلها أكثر كفاءة ـ بفضل تنظيمها القتالى ـ على ضرب الخصم وسحق قواته . فقد طرأت تغييرات جوهرية على خطط التعبئة الإسرائيلية فى بداية الثمانينات ووضعت خططا عصرية متماشية مع التطور التقنى الاستراتيجى السريع الحاصل فى العالم(٦٣) ، وكذلك قامت إسرائيل بوضع خطة وتنسيق جديدين فيما يخص الحرب والدفاع عن الحدود القومية أو فيما يخص الاحتياجات الأمنية الداخلية .(٦٤)

كما أن القيادة العسكرية الإسرائيلية قد وضعت برنامجاً فى خطتها الأمنية الجديدة يخص رفع الروح المعنوية والقتالية لدى أفراد قوتها المسلحة وذلك عن طريق تدريب متقدم يتلاءم مع المتطلبات العسكرية المستجدة(٦٥) ، كما وضع برنامج جديد للتوعية بالواجب العسكرى ولخلق أقصى درجة ممكنة من التعبئة البشرية فى حالة نشوب حرب مع الدول العربية . على أن هذه التوعية العسكرية لا تخل بالشروط الديمقراطية التى يعيشها المجتمع الإسرائيلى ، فإن المجتمع الإسرائيلى على الرغم من بنيته العسكرية ، بما أن أغلبية الجيش مكونة من الاحتياط والمجندين ، فإنه مجتمع ديمقراطى

لأن النظام السياسى فيه هو نظام دستورى برلمانى ديمقراطى ، وأن التربية العسكرية داخل هذا المجتمع تغدو ضرورة واجبة بما أن إسرائيل فى حالة حرب دائمة .

لكن السؤال المطروح هو كيف تكون هذه التربية العسكرية كثيفة وقوية من غير أن تعسكر الحياة السياسية وتنعكس على طبيعة ديمقراطية النظام ؟ من أجل هذا ، قام الاستراتيجيون الإسرائيليون بوضع خطة لهذا الغرض لسنوات الثمانينات بهدف حفظ التوازن الأمنى .(٦٦)

كما اهتمت القيادة الإسرائيلية بقضية أساسية ، تعتبر عنصراً جوهرياً من عناصر الأمن القومى ، هى العمق الاستراتيجى . فبما أن الدول العربية أصبحت ذات قوة ضاربة أكثر قدرة عما كانت عليه فى الستينات وحتى أواسط السبعينات ، فإن قضية العمق الاستراتيجى باتت ملحة وبحاجة إلى حل ناجح ، بما أن السعى الإسرائيلى لاحتلال أراضٍ إضافية قد توقف منذ حرب الأيام الستة ١٩٦٧ ، فإن القيادة الإسرائيلية قد عينت بدائل أخرى لهذا الغرض خلال سنوات الثمانينات ، وذلك عن طريق تصعيد القدرة التقنية لوسائل الإنذار الاستخبارى وتصعيد قدرة وسائل الدفاع الاقليمى وشروطها الأساسية مثل التحصين المتقدم والمرتبط بأجهزة مراقبة و أسلحة وسائل الدفاع الإقليمى وشروطها الأساسية مثل التحصين المتقدم والمرتبط بأجهزة مراقبة وأسلحة تصد فعَّالة ومتقدمة ، إضافة إلى تطبيق النظرية السابقة فى الدفاع وهى نظرية الهجوم الاستباقى.(٦٧)

هذا من ناحية وهنالك ناحية إضافية ، استجدتها القيادة الإسرائيلية واعتمدت عليها خلال سنوات الثمانينات ، هى تقوية المستعمرات واستخدامها استخداماً أمنياً من جهة واستراتيجيا عسكريا من جهة أخرى لتعويض افتقار إسرائيل إلى عمق استراتيجى كافٍ .(٦٨)

وعلاوة على هذه الاحترازات المتعلقة بنشوب حرب نظامية فإن إسرائيل قد اتخذت احتياطاتها الأمنية ضد العمليات الفدائية التى تقوم بشن هجومات متفرقة على حدودها أو بأعمال تخريبية للمنشآت الإسرائيلية فى الداخل أو فى الخارج ، ووضعت برنامجاً أمنياً للثمانينات فيما يخص العمل الفدائى .(٦٩)

إن كل هذه الخطط والبرامج العسكرية ، التى تخص حماية أمن إسرائيل القومى فى فترة الثمانينات هى خطط تتعلق بالحرب التقليدية سواء المحدودة منها أو المتسعة ، وهى خطط و إجراءات لا تترك شاردة أو واردة إلا وتخضعها للتخطيط والبرمجة وتصعيد قدرتها التقنية والدفاعية أو الهجومية بما يتلاءم ووظيفتها الأساسية فى مجال صيانة ــ الأمن القومى لإسرائيل ، هذا إضافة إلى الاحتياط الأكثر قوة وفعالية ، أى الاحتياط النووى كعامل أساسى للردع وواجهة أولية

تمنع حتى قيام الحرب التقليدية المحدودة خشية أن تتحول إلى حرب أكثر سعة فيدخل فيها السلاح النووى داخل مجال الممارسة .

إن هذه الخطة الأمنية الإسرائيلية الشاملة والمحكمة تثير لدينا ، نحن العرب ، تساؤلا هاماً هو : هل الدول العربية عامة ودول المواجهة خاصة تمتلك خططاً أمنية بهذا المستوى من الدقة والشمولية ؟ إن نظرية الأمن الإسرائيلية تأخذ بعين الاعتبار كل الجوانب الوطنية الذاتية أو تلك التى تتعلق بالخصم (أى الدول العربية) ، وإن هذه النظرية على صعيد حساباتها الخاصة الذاتية لا تغرق داخل أحلام وأيديولوجيات ترتفع عن مستوى الأرقام والحسابات الواقعية الدقيقة ، بل تحاول أن تدرك تماماً مدى إمكانيتها ونقاط ضعفها أو مركز قوتها ثم نقاط ضعف وقوة العدو . فهل توجد فى المقابل عند الدول العربية هذه المقاييس الموضوعية الدقيقة لأجل بناء نظرية أمن قومى عصرية متلائمة مع متطلبات العصر ومتغيراته السريعة فى المجال التقنى أو متغيراته الأقل سرعة فى موازينه السياسية. هل تتوفر لدى العرب القدرة التنظيرية لإدراك مواطن القوة والضعف فى إمكانياتهم الذاتية وتقدير مصادر وإمكانيات القوة عند العدو ؟ لكى يؤسسوا على هذا الإدراك قوة مسلحة وروحاً معنوية لا تغرق فى الأوهام ، بقدر ما تأخذ صلابتها من دقة معرفتها بالواقع وإطلاق المسميات الحقيقية على الأشياء و الأرقام . إن المعنوية وروح التضحية عند العرب لا تكفيان أبداً بما أن للعدو مثلها، علاوة على عقلانية فى تقدير نفسه وتقدير المقابل . وحول هذا الموضوع يحاول يسرائيل تال أن يعقلن هذه العاطفة الوطنية ليس بروح حماس إنشائى ولغوى بل وفق أسلوب من الاشتراطات المقارنة والمرتبطة مع الخط الاستراتيچى الأمنى العام . ولعل أفضل ما يمكن أن نختتم به هذه الدراسة هى كلمات يسرائيل تال حول هذا الموضوع حيث يقول « إن قوة الحافز تتناسب طردياً مع مدى حيوية المصلحة الفردية والقومية . و إن مقدار حيوية المصلحة هو الذى يحدد مستوى الثمن الذى يكون الفرد والمجموع على استعداد لدفعه من أجل المحافظة على هذه المصلحة . وثمة من يدعو بيننا إلى استخدام غير محدود للقوة من أجل خدمة أهداف قومية طموحة وبعيدة المدى . وهم يدعون جيلنا إلى دفع أقصى ، وكل ثمن ممكن من أجل إحراز الأهداف الطموحة فى سبيل « الأجيال القادمة » ، وأحياناً يقومون بإجراء مقارنات إحصائية بين عدد الخسائر فى حروبنا وعدد المصابين بحوادث الطرق ، أو بين عدد شهدائنا وعدد شهداء قتلنا . وإن هذه النظرة ليست فى صلب الموضوع عندما نبحث فى الحافز الذى هو قضية ذاتية أساساً . فالمسألة ليست حساباً إحصائياً بارداً ، بل هى غريزة صحية وأساسية ترشد البشر فى اتخاذ قراراتهم بشأن ما هو جدير بالتضحية بحياتهم أو حياة أبنائهم أو ما هو غير جدير بذلك . إن

البشر مستعدون لدفع الثمن فداحة من أجل صميم وجودهم المادى والقومى ، لكنهم غير مستعدين لدفع مقابل مرتفع كثمن للأخطاء والتقصيرات أو كثمن لسياسة غير مقبولة من قبلهم .

إن الحافز يتناسب طردياً مع مدى الموافقة الشاملة على الأهداف وأما الحافز الأعلى فهو ذلك الذى تحكمه أهداف تتعلق بالوجود ، حيث يشعر البشر بأنه من الجائز تعريض الحياة للخطر ، بل حتى التضحية بها ، من أجل الدفاع عن الحياة والحرية . وما دمنا نحارب من أجل هذه الأهداف فهنالك فرصة كبيرة لأن يبقى مستوى حافزنا أعلى بما لا يقاس من حافز أعدائنا » (٧٠) .

ملاحظات:

(١) د . حامد ربيع : « نظرية الأمن القومى العربى والتطورات المعاصرة للتعامل الدولى فى الشرق الأوسط » دار الموقف العربى . القاهرة ١٩٨٤ ص ٣٢ .

(٢) حسين آغا ، أحمد سالم الخالدى ، قاسم جعفر : « إسرائيل ، العقيدة العسكرية وشؤون التسلح » سلسلة الدراسات الاستراتيجية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر . بيروت ١٩٨٢ص٩

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠

(٥) د . هيثم كيلانى :« الجديد فى المذهب العسكرى الإسرائيلى » منشورات مجلة الفكر العسكرى . دمشق ١٩٨١ . ص١٢

(٦) « إسرائيل ، العقيدة العسكرية وشؤون التسلح » ص ١٠ـ١١

(٧) المصدر السابق . ص١١

(٨) المصدر السابق ص ١١ـ١٢

(٩) المرجع السابق . ص١٢

(١٠) المرجع السابق . ص١٢ـ١٣

(١١) حسين آغا ، أحمد سامح الخالدى ، قاسم جعفر : « القوة العسكرية الإسرائيلية ». سلسلة الدراسات الاستراتيجية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٨٢ . ص٩

(١٢) المرجع السابق . ص ٩ـ١٠

(١٣) المرجع السابق . ص١٠

(١٤) انظر « النقاش حول تخفيض ميزانية الدفاع الإسرائيلية » فى « القوة العسكرية الإسرائيلية » ص ١٧ ـ ٢٧ .

(١٥) « إسرائيل ، العقيدة العسكرية وشؤون التسلح » ص٢٩

(١٦) المرجع نفسه ص ٣٣ .

(١٧) المرجع نفسه ص ٤٠ .

(١٨) يسرائيل طال : « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٨١ . ص٧١ .

(١٩) حسين أغا ، أحمد سامح القاسمى ، قاسم جعفر : « بعض مسائل الصراع العربى الإسرائيلى » سلسلة الدراسات الاستراتيجية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٢ . ص.١٠ .

(٢٠) المرجع السابق : ص ١٠ـ١١

(٢١) حسين أغا . أحمد سامح الخالدى ، قاسم جعفر : « قضايا فلسطينية » . سلسلة الأبحاث الاستراتيجية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، ص٤٩

(٢٢) محمود عزمى :« نظرية الأمن القومى الإسرائيلى ، الجذور والتطبيقات الأولى ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ » مجلة « الفكر الاستراتيجى العربى » العدد الأول ـ تموز ـ يوليو ١٩٨١ ص١٣٥ .

(23) gean _ paul charnay : " thecnique et geosociologie ' la guerre du rif la nucleaire en orient " . ed " anthropos " paris1984, p175

(٢٤) المرجع السابق . ص١٧٨ـ١٧٩

(٢٥) المرجع السابق . ص.١٨٠ .

(٢٦) قاسم محمد جعفر :« ميزان القوى العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ » المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٥ . ص٢٠ـ٢١ .

(٢٧) المرجع السابق . ص٣٤ ـ ٣٥ .

(٢٨)المرجع السابق . ص٤١

(٢٩) المرجع السابق ص ١٥٢ ـ ١٥٨

(٣٠)المرجع السابق ص١٦٨

(٣١) المرجع السابق : ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٣٢) المرجع السابق : ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٣٣) المرجع السابق ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

(٣٤) القوة العسكرية الإسرائيلية . ص ٣١ .

(٣٥) المرجع السابق . ص ٣٢

(٣٦) المرجع السابق . ص ٣٣ .

(٣٧) المرجع السابق . ص٣٤

(٣٨) المرجع السابق ص٣٨ .

- 39 - JEAB-MARIE ARNAUD: "La charnière Arabe de L'Afrique

Stratégique. premier trimestre. 1982. p 15.

- 40 - JEAN-PAL PIGASES: "La stratégie économique dans le coflit Israèlo-arabe". Stratégie. No. 13 juillet-sptembre 1976. p 80.

- 41- MICHEL GARDER: "La stratégie totale soviétique et la crise du moyen-orient". strategie No 13. Juillct-Septembre. p 49.

- 42- Général BEAUFRE: "Les ensignements opérationnels de la guerre Israèlo-arabe". Stratćie. No 37 .juillet - septembre - 1967 . p 35

- 43- General Beaufre : " La quatrieme guerre israelo - arabe" . Strategie . no 36 octobre - decembre 1973 . p 17 .

- 44- Général BEAUFRE: "Une guerre classique moderne. La guerre Israèlo-arabe". Stratégie No 13. Juillet-September 1967. pp 21-22.

- 45- TIME: "Black October: old enemies et war again". Time, 15 October 1973. p 6.

- 46- NEWSWEEK: "A war that broke the myths". Newsweek. 22 Octobcr 1973. p 10.

(٤٨) إسحاق رابين : « أمن إسرائيل فى الثمانينات » بحث فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات ، » مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت ١٩٨٠ . ص ٦١ .

(٤٩) المرجع السابق . ص ١٧ .

(٥٠) يسرائيل تال « أمن إسرائيل فى الثمانينات » .ص ٧٠ .

(٥١) اللواء يهوشافاط هركابى : « خواطر فى نظرية الأمن القومى » فى كتاب « الأمن الاستراتيجى فى الثمانينات » . ص٥٩ .

(٥٢) المرجع السابق . ص ٦١ .

(٥٣) المرجع السابق . ص ٦٣ .

(٥٤) البروفسور يحزميل درور « استعداد فكرى لمستقبل الأمن » فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات . ص ٧٣

(٥٥) المرجع السابق . ص ٧٣ .

(٥٦) المرجع السابق ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٥٧) إسحاق رابين : « مشكلات أمن إسرائيل فى الثمانينات » . فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٥ ـ ٢٠

(٥٨) اللواء بنيامين بيلو : « القتال الجوى ـ البرى » . فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٥٩) العميد متان فيلنائى : « سلاح المشاة فى مواجهة الثمانينات » . كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ١٣٠ .

(٦٠) العميد أبراهام بار ـ دافيد « المدفعية فى المعركة الحديثة » كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٣٢ ـ ١٣٦ .

(٦١) العقيد شاؤول :« أجهزة ضبط النيران فى الدبابات » . « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٦٢) فريق من قيادة سلاح البحرية : « سلاح البحرية عبر تاريخه ونظرة إلى المستقبل » « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١١٦ ـ ١١٨ .

(٦٣) العقيد حاييم : « اللوجستية فى الجيش الإسرائيلى فى الثمانينات » . « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٦٤) العميد يستحاق زيد : « الدفاع الإقليمى والدفاع المدنى فى حرب الغد « ، « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٦٥) العميد تيبى : « القوة الكامنة فى الطاقة البشرية ـ نظرة أخرى » ، « أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٦٦) العميد أبراهام آفى زوهر : « التربية العسكرية فى مجتمع ديمقراطى فى الثمانينات « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ١٧٧ ـ ١٨٧ .

(٦٧) اللواء أهرون ياريف : « العمق الاستراتيجى ، وجهة نظر إسرائيلية » فى كتاب «أمن إسرائيل فى الثمانينات » . ص ٢٦ ـ ٢٨ .

(٦٨) المقدم الدكتور ألحانان آرون « دور الاستيطان وأهدافه الأمنية » . فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٦٩) اللواء حاييم هير تسوغ : « فى ظل الإرهاب الدولى » فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

(٧٠) يسرائيل تال « أمن إسرائيل فى الثمانينات » فى كتاب « أمن إسرائيل فى الثمانينات » .
ص ٧٠ ـ ٧١ .

الفصل الرابع

(من غزو الفضاء إلى « حرب النجوم ») *

* كُتِبت للنشر فى « الموسوعة السياسية » تحت مادة « فضاء » المجلد الرابع المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت

١ ـ غزو الفضاء .

لم يكن تفكير الإنسان فى الفضاء وغموضه فى البداية سوى حلم تجسد بشكل قوى ، لأول مرة، فى القرن السابع عشر ضمن أعمال فنية وأدبية مثل رواية (تاريخ هزلى لدول وإمبراطوريات القمر) ١٦٥٦ لسيرانو برجراك ،

histoire comique des etats et empires de la lune cyrano Bergerac

وغيرها من الآثار الأدبية التى توالت خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، وكانت العبارة المستخدمة داخل هذا النمط من الأدب هى « السفر داخل الفضاء » .

« voyage dans l,espace » ولم تظهر عبارة غزو الفضاء conqete de la es- pace إلا فى القرن العشرين وبشكل نادر داخل قصص وروايات الخيال العلمى S . F =) Seience _ fiction) ، التى بدأت بالتطور لأول مرة مع كتابات الأديب البريطانى هـ . ج . ويلز H . g wells . مثل روايتية (حرب العوالم) the war of warlds1897 (الرجال الأوائل على سطح القمر) ١٩٠٠١ ، و ظهر هذا التعبير بعد ذلك فى روايات الخيال العلمى اللاحقة والمساعدة على ظهور الموجة نفسها فى السينما * .

لم يتحول هذا الخيال الأدبى إلى محاولة واقعية إلا عام ١٩٢٦ على يد صبى ألمانى فى الرابعة عشرة من عمره هو و يرنر فون براون Wernher von Braun الذى غدا من أكبر علماء الفضاء فيما بعد .

ولد براون فى مدينة فيرزتس Wirsitz الألمانية عام ١٩١٢ ، وأظهر تعلقاً بصنع الآلات

---

* *إن كل المعلومات التى احتوتها هذه الدراسة مستقاة من المراجع المثبتة فى نهاية هذا الفصل*

الطائرة والمقاومة للجاذبية الأرضية ، وطور أبحاثه عبر دراسة أكاديمية وعلمية عميقة وتجريبية فتوصل عام ١٩٣٠ إلى إطلاق صاروخ ميراك ـ ٢ Mirak-2 الذى حلق إلى ارتفاع ٣٥٠ متراً قبل سقوطه . وبعد أبحاث وتحسينات متواصلة للمحاولة الأولى قام بإطلاق صاروخ حلق إلى أرتفاع ٩٠كيلو متراً ثم سقط على بعد ٢٠٠ كيلو متراً من نقطة انطلاقه . ثم حققت أبحاثة الفضائية نجاحاً كبيراً عام ١٩٤٤ عند صنعه للصاروخ ف ـ ٢ الذى استخدم عسكرياً من قبل الألمان وأطلق باتجاه باريس قبل سقوط الحكم النازى فى ألمانيا واستيلاء القوات الأمريكية على المشاريع العلمية للصواريخ وصناعتها المتقدمة فى ألمانيا ، فى ذلك الوقت ، تحت إشراف براون .

طور براون أبحاثة الفضائية فى الولايات المتحدة بعد ذلك ، حيث حقق أحد أحلامه عام ١٩٥٤ عندما أطلق الصاروخ ريد ستون Redston المكون من عدة طوابق والذى يحمل سفينة فضائية يطلقها فى الفضاء الخارجى بعد فترة من إقلاعه عن سطح الأرض . لكن الولايات المتحدة أوقفت بحوثها الفضائية عام ١٩٥٢ ، ولم تعاودها إلا عام ١٩٦١ حيث استعانت مرة أخرى بخبرة براون الذى استمر فى تطوير بحوثه الفضائية حتى نجح عام ١٩٦٩ بتحقيق حلمه الكبير بإنزال أول سان على سطح القمر فى المركبة الفضائية أبولو ـ ١١ «Apollo-11

سباق غزو الفضاء .

على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت أول دولة استطاعت أن تنزل إنساناً على سطح القمر عام ١٩٦٩ ، غير أن الاتحاد السوفيتى قد سبقها فى عملية غزو الفضاء ، وكان هذا السبق الحافز الأساسى للولايات المتحدة على المضى فى تطوير أبحاثها الفضائية . فقد أمسى غزو الفضاء أو إنزال إنسان على سطح القمر واقعة ذات بعد سياسى يعزز المكانة الأيديولوجية للدولة المتقدمة إزاء الدولة الأخرى داخل لعبة الصراع العالمى بين القوتين العظميين ، قبل أن يغدو الفضاء مجالاً رابعاً للاستخدام العسكرى .

يعتبر الاتحاد السوفيتى من الناحية الزمنية أول من بدأ بالغزو الفعلى للفضاء من أجل تحقيق

كشوفات علمية فى المجال السلمى ، ثم تلته الولايات المتحدة ثم بلدان أوربا الغربية فبعض البلدان الآسيوية .

الاتحاد السوفيتى .

قام بأول غزو للفضاء فى ٢٤ من تشرين الثانى (أكتوبر) عام ١٩٥٧ فأرسل أول جرم فضائى هو القمر الاصطناعى سبوتنيك ـ ١ Spoutnik _1 . ثم أرسل إلى القمر سفينة فحص علمى هى لونيك ـ٢ _ Lunik التى تحطمت على سطح القمر فى أيلول (سبتمبر) ١٩٥٩ . ثم حقق فتحاً كبيراً فى مجال الغزو الفضائى عندما أرسل أول إنسان إلى الفضاء الخارجى هو يورى غاغارين Youri Gagarine فى ١٢ من نيسان (أبريل) ١٩٦١ . قام غاغارين بالطيران فى الفضاء لمدة ساعة وثمانية وأربعين دقيقة وعاد إلى الأرض سالما . وفى عام ١٩٦٣ أرسل الاتحاد السوفيتى أول امرأة إلى الفضاء هى رائدة الفضاء فالنتينا تيريكوفا Valentina Terechova على ظهر المركبة الفضائية فوستوك ـ ٦ _Vostok . وفى ٣١ من كانون الثانى (يناير) ١٩٦٦ حقق الفضائيون السوفيات أول هبوط ناجح لمركبة فضائية على سطح القمر هى لونا ـ ٩ .Luna-9

وفى العام نفسه لم يكتف السوفيات بمحاولة غزو القمر فقط بل قاموا بمحاولات فضائية لاستكشاف كواكب أخرى مثل الزهرة التى أرسلوا باتجاهها المركبة فينوس ـ٣ Venus-3 التى تحطمت على سطحها ، وكانت فينوس ـ ٣ venus-3 أول مركبة فضائية تمس سطح هذا الكوكب . فعاودوا المحاولة باتجاه الزهرة مرة أخرى عام ١٩٦٧ فنجحوا فى إنزال المركبة الفضائية فينوس ـ ٤ venus-4 على سطح هذا الكوكب .

قام السوفيات من جانب آخر بتطوير الصواريخ الفضائية العملاقة للذهاب إلى القمر . فأطلقوا أول صاروخ ضخم ساتورن ـ ٥ Saturne-5فى كانون الثانى (نوفمبر) ١٩٦٧ . وفى ١٧ كانون١ . وفى ١٧من كانون الثانى (يناير) ١٩٦٩ قام رواد فضاء الصاروخين سويوز ـ ٤ وسويوز

Soyouz-4 Soyouz-5 بتأسيس وبناء أول محطة فضائية تجريبية . و منذ ذلك العام تقدمت الأبحاث الفضائية السوفياتية كثيراً فى مجال إنشاء المحطات وإطلاق الصواريخ الضخمة باتجاه القمر أو كواكب أخرى . وفى عام ١٩٧٥ قام الاتحاد السوفياتى بأول طيران مشترك سوفياتى ـ أمريكى ضمن برنامج تطوير التعاون الفضائى بين البلدين فى المجال السلمى ، هذا قبل أن تكتشف المساعى الفضائية العسكرية للبلدين والتى ابتدأت بشكل خفى منذ سنوات الستينات عن طريق الرصد والمراقبة ثم تطورت بعد ذلك على انفراد داخل لعبة التوازن والتفوق بين القوتين العظميتين .

الولايات المتحدة الأمريكية .

لم تعر الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً للأبحاث الفضائية فى بداية الأمر لتكلفتها الباهظة فأوقفت أنشطتها العلمية فى المجال الفضائى منذ عام ١٩٥٢ . غير أن بروز التطور الذى أحرزه السوفيات فى هذا المجال بعد إطلاق المركبة سبوتنيك ـ ١ ١٩٥٧ ، وإرسال أول إنسان إلى الفضاء عام ١٩٦١ ، دفع الولايات المتحدة لأن تأخذ السبق السوفياتى بنظر الاعتبار ضمن بعدين : الأول سياسى يتعلق بصورة التفوق التكنولوجى لكل دولة أمام العالم ، والثانى عسكرى بهدف تحاشى إطلاق حرية السوفيات داخل الفضاء خشية استخدامهم العسكرى لهذا الميدان . فقامت الولايات المتحدة بإنشاء (الإدارة القومية للفضاء والطيران) Nasa

Nasa = National Aeronauties and Space Administration

فى الأول من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٨ وهى مؤسسة مدنية أو كل إليها الرئيس أيزنهاور مهمة الأبحاث الفضائية . وكانت المبادرة الفضائية الأمريكية حاسمة بعد إرسال السوفيات لأول إنسان إلى الفضاء (نيسان ١٩٦١) ، حيث ألقى الرئيس الأمريكى چون كندى خطابه التاريخى فى ٢٥ من آيار ١٩٦١ معلناً برنامجاً فضائياً ضخماً ، يهدف إلى إنزال أول إنسان على القمر قبل نهاية السنوات العشر التالية ، ومعلناً بداية رحلات الصاروخ الأمريكى أبولو إلى القمر . ووافق الكونجرس على تخصيص ميزانية ضخمة لمشروع أبولو بلغت ٢٦ مليار دولار على أن تصرف

الحدود القصوى منها بين العامين ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ ، وقام ليندون جونسون نائب الرئيس كندى آنذاك بتنظيم مجموعة متتالية من الاجتماعات فى البيت الأبيض مع كبار الصناعيين الأميركان وأكبر الشركات الصناعية فى الولايات المتحدة لتهيئة قدرة تكنولوجية هائلة من أجل إنجاح المشروع . وكانت هذه الاجتماعات تحت إشراف ورنر فون براون الذى استعاد الأميركان استعانتهم بخبرته الكبيرة فى علم الفضاء . ومع أن المشروع الفضائى الأميركى يبدو علمياً وسلمياً فقط إلا أن دوافعه الجوهرية كانت سياسية فقد صرح جونسون : إن الولايات المتحدة لا تستطيع الاستمرار فى كونها دولة ثانية بعد الاتحاد السوفياتى فى ميدان غزو الفضاء .

استهلت الولايات المتحدة مشروعها الفضائى بإرسال مركبة فضائية تدور حول الأرض تحمل أول رائد فضاء أمريكى هو جون غلين John Glwenn ثم بدأ غزوهم مقترناً بعمليات كشف فضائية واسعة لكواكب أخرى مثل المريخ الذى وصلته المركبة الفضائية مارينر ـ ٤ Mariner _4 فى تموز (يوليو) ١٩٦٥ . ثم قامت المركبة أبولو ـ ٨ Apollo_8 بتحقيق أول عملية دوران حول القمر فى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ .

وفى ٢١ من تموز ١٩٦٩ قام الأميركان بأضخم عمل فضائى فى تاريخ الإنسانية بإنزالهم أول إنسان على سطح القمر هو رائد الفضاء الأميريكى نيل أرمسترونج Neil Armstrong رئيس البعثة الفضائية لمركبة أبولو ـ ١١ .

فى شهر آيار ١٩٧٣ باشرت الولايات المتحدة إنشاء أول محطة مدارية هى سكيلاب وتوصلوا إلى تصليح العطل الفنى الذى أصابها فى الشهر نفسه (أول عمل تصليحى آلى ناجح فى الفضاء الخارجى) . وفى العام نفسه توقف مشروع الصاروخ أبولو الذى ابتدأ عام ١٩٦٢ وحقق نجاحات كبيرة وبدله صاروخ متطور آخر هو صاروخ فيكنغ ـ ١ Viking_1 الذى حقق أول هبوط على سطح المريخ وأجرى عدة اختبارات جيولوجية لأرضه كان نتيجتها أن الحياة محتملة فوق سطح هذا الكوكب .

فى آب (أغسطس) ١٩٧٧ قام الفضائيون الأميركان بإطلاق مركبة بحث مختبرى علمى هى فوياجر ـ ٢ Voyager _2 باتجاه الكوكب جوبيتر وفى آذار (مارس) ١٩٧٩ بدأت فوياجر

بتصوير الكوكب وإرسال صورة إلى الأرض .

بعد هذا التطور المتصاعد فى الاكتشافات والغزو الفضائى وبناء المحطات المدارية ، أصبح من الممكن تطوير هذه الأبحاث من أجل خدمة الاستراتيچية العسكرية الأمريكية وتحديد نقاط للمراقبة والرصد الفضائى لخدمة الأغراض العسكرية .

على الرغم من السبق الذى حققته الولايات المتحدة على الاتحاد السوڤيتى ، فى غزو القمر إلا أن الاتحاد السوفياتى يعتبر الأكثر تفوقاً فى مجال الغزو والتكنولوچيا الفضائيين لأن عدد الأجرام التى أطلقها الاتحاد السوڤيتى منذ عام ١٩٥٧ وحتى الآن (١٩٥٨) يبلغ ٢١٠٠ جرماً بينما لا تتجاوز الأجرام الاميريكية الألف جرم .

بلدان أوربا الغربية .

لم تحقق البلدان الأوربية الغربية أى تقدم فى مجالات غزو الفضاء ، وقد أخفقت كل محاولاتها فى ذلك بسبب عدم قدرتها على تخصيص ميزانيات ضخمة لهذا المشروع . كما أن ارتباطها بحلف شمال الأطلسى يجعلها تعتمد على الانجازات الفضائية للولايات المتحدة فى حالة قيام مشروعات عسكرية فى الفضاء بالرغم من أن المعادلة الأخيرة لم تكن ناجحة بعد طرح مشروع «حرب النجوم» (راجع حرب الفضاء ، حرب النجوم) من قبل الرئيس ريغان . وبشكل عام كرست البلدان الأوربية جهودها الفضائية فى اتجاه تطوير وسائل الاتصال الهاتفية والراديو ـ تلفزيونية وإنشاء محطات البث والاستلام . إن المحاولة الفضائية الأوربية وإخفاقها تميزت ببضعة تواريخ هامة :

ـ فى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦١ أنشأت فرنسا (المركز الوطنى للدراسات الفضائية) Center National d,etudes Spatiales (C. N.E.S.C) الذى باشر فعالياته العملية فى آذار (مارس) ١٩٦٢ ، العام الذى تأسست فيه (المنظمة الأوربية لبناء وإطلاق الأجرام الفضائية) E . L . D . O .

ـ فى حزيران (يونيو) ١٩٦٢ تأسست (المنظمة الأوربية للأبحاث الفضائية) E S R O

Organisation Europeenne de Recherches Spatiales

ـ فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٥ ، أطلقت فرنسا أول سفينة فضائية لها هى 1_ A ثم حاولت مجموعة البلدان الأوربية إطلاق صاروخ فضائى غير أن المشروع تعرض إلى سلسلة من الإخفاقات التامة فترك تماماً عام ١٩٧٣ ، وهو مشروع صاروخ أوربا ـ ٢ Europaa _2 .

واعتباراً من عام ١٩٧٣ قامت البلدان الأوربية بتوجيه جهودها الفضائية نحو ميدان المواصلات الراديو ـ تلفزيونية Telecommunication ، فقررت فى مؤتمرها الفضائى المنعقد فى تموز (يوليو) ١٩٧٣ بإنشاء الصاروخ الأوربى آريان Ariane ليحل محل الأقمار الاصطناعية للمواصلات الفضائية . وفى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٤ قامت كل من فرنسا وألمانيا بالاشتراك فى إرسال قمر تجريبى للمواصلات هو سامفونى ـ ١ Samphonie _1

فى نيسان (أبريل) ١٩٧٥ تأسست (الوكالة الفضائيةالأوربية) Agence E . S . A Spatiale Europeenne التى حلت محل المؤسسات الفضائية الأوربية السابقة مثل و E.S. R. O E.L.D.o

وفى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧٧ ، أطلق القمر الاصطناعى الأوربى ميتيوسات ـ ١ Meteosat _1 ، أول قمر اصطناعى للأنواء الجوية وأخذ بإرسال الصور التى يلتقطها إلى الأرض لكنه تعطل عن العمل فى تشرين الثانى ١٩٧٩ . وفى كانون الأول من السنة نفسها أطلق الصاروخ الأوربى آريان Ariane الذى لم يحقق الأغراض العلمية التى أطلق من أجلها . وبعد هذا لم تحقق البلدان الأوربية الغربية أى إنجازات فضائية هامة فيما عدا إنجازاتها فى مجال المواصلات الراديو ـ تلفزيونية .

بلدان أخرى

إضافة إلى ما تقدم قامت ثلاث محاولات فضائية آسيوية فقد أطلقت اليابان أول قمر فضائى لها فى شهر شباط (فبراير) ١٩٧٠ . وأطلقت جمهورية الصين الشعبية قمرها الفضائى الأول فى

٢٤ من نيسان (أفريل) ١٩٧٠ . وأطلقت الهند قمرها الفضائي الأول روهيني Rohini في ١٨ من تموز (يوليو) ١٩٨٠ .

أما مجموعة البلدان العربية فقد أطلقت قمرها الاصطناعي الأول عربسات في ٨ من شباط (فبراير) ١٩٨٥ ، وهو قمر خاص بالاتصالات الهاتفية والراديو ـ تلفزيونية . وتم إنشاؤه برؤوس أموال عربية . اشتركت في الإسهام بنسب مرتفعة كل من المملكة العربية السعودية ، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية الشعبية ، دولة الكويت ، الإمارات العربية المتحدة و الجمهورية العراقية . وقد صنع القمر بواسطة مساعدات تكنولوجية غربية ، ويحتوي عربسات على سبعة أقنية قمرية تعمل على الحزمة ٢,٥ / ٤ ميغا هيرتز وهي للبث التلفزيوني بين الدول العربية ويحتوي على قناة قمرية للبث التلفزيوني الجماعي .

٢ ـ مواصلات الفضاء .

بعد أن حققت عمليات غزو الفضاء كشوفات عدة ساعدت في خلق معرفة موسعة أو تفصيلية في بعض الأحيان ، المجال الفضائي ، قامت البلدان المعنية بهذا المجال بتطوير خطوطها الملاحية الفضائية ورفع مقدرتها التكنولوجية ودقتها في ربطها بين الأرض والفضاء ، عن طريق إقامة الكثير من المحطات الفضائية المؤقتة أو الثابتة ، والمأهولة بطاقم متخصص في بعض الأحيان يعاود تبديله بشكل دوري . وأمسى للفضاء الخارجي خطوط مواصلات خاصة بكل دولة وبكل اتجاه تتحكم فيها أجهزة دقيقة للرصد والمراقبة .

وأعانت هذه الشبكة المتقدمة لطرق مواصلات الملاحة الفضائية على استخدامات أخرى للفضاء كمجال للتسهيل والتطوير العالي للاتصالات الراديو ـ تلفزيونية .

ففي شهر آب (أغسطس) ١٩٦٤ أنشىء أول مجمع عالمي للمواصلات الراديو ـ تلفزيونية انتلسات Intelsat ، بواسطة مجموعة من الأقمار الصناعية . وفي ٦ من نيسان (أبريل) ١٩٦٥ أقيم أكبر مشروع للمواصلات عبر الفضاء عندما أطلق أول قمر اصطناعي خاص بالاتصالات هو

إيرلى بيرد Early Pird الذى أطلقته (الإدارة القومية للفضاء والطيران) NAsA بهدف الاستخدام التجارى وتسهيل الاتصالات التجارية العالمية .

وقام الاتحاد السوفيتى فى آذار (مارس) ١٩٧٤ بتأسيس مشروع كبير للمواصلات الفضائية عندما أنشأ أول محطة مدارية ثابتة حول الأرض لغرض الاتصالات الراديو تلفزيونية وذلك بعد مرور حوالى عشر سنوات على إنشاء المحطة الأمريكية .

وفى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١ استخدمت لأول مرة وسائل المواصلات الفضائية لتسهيل الاتصالات البحرية على الأرض فقد أطلق القمر الاصطناعى ماريكس ـ١ Marecs بغرض توفير دقة وكثافة فى الاتصالات الراديو ـ تلفزيونية فى البحار . وفى مجال تعزيز شبكة الاتصالات الراديو ـ تلفزيونية أيضاً أطلقت عدة أقمار اصطناعية بعد ذلك مثل القمر الأمريكى SPS _3 و الكندى انيك ـ سى ٣ Anic _3 عام ١٩٨٢ . ثم أطلق فى العام ١٩٨٣ القمر الأوربى إى ، سى، أس ـ ١ ECS _1 لتسهيل الاتصالات العملياتية وهو القمر الأوربى الأول الذى يستعمل لأغراض الاتصالات التجارية ، وفى آب (أغسطس) ١٩٨٤ أطلقت فرنسا القمر الصناعى تيليكوم ـ ١ Telecom _1 المخصص للاتصالات الراديو ـ تلفزيونية والخاص باتصالات فرنسا فقط مع الإرسالات الخارجية . وبالرغم من تعدد الأقمار الاصطناعية القائمة لغرض المواصلات وتعدد البلدان التى أطلقتها ، فإن الولايات المتحدة تبقى المهيمنة فى ميدان طرق المواصلات الفضائية والمسيطرة على كل عمليات المواصلات الخاصة بالأقمار المدارية وأقمار المواصلات الفضائية الأخرى .

عبر تطور المحطات الراديو ـ تلفزيونية انتقلت الحدود الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى إلى الفضاء فطورت العناصر الأساسية فى وسائل مواصلاته مثل الأقمار الاصطناعية الاتصالية والمحطات الفضائية والمدارية ومركبات الفضاء ورادارات الكشف ، لأن أقمار الاتصال قد طورت الشبكات اللاسلكية وموثيقيتها وجعلت مقرات القيادة فى موسكو وواشنطون قادرة على توجيه قواتها البرية والبحرية والجوية حيثما كانت على الأرض . وكان هذا التطور فى وسائل الاتصال الفضائى بالضرورة عاملاً لتوظيف الفضاء عسكرياً ما دامت التطورات الفضائية

قادرة على اختصار الكثير من المهام التقنية التقليدية بتحسين قدرات خط الحدود الفضائية وتعزيز إمكاناته فى مجالات الرصد والاتصالات والملاحة وغيرها من المهام العسكرية المساعدة مع عدم السعى للدخول فى عملية واسعة لعسكرة الفضاء وتحويله إلى خط قتالى . وكان خلف هذا الموقف بعدم التسليح اتفاقيات ضمنية لم تكن إحدى الدولتين قادرة ـ أدبياً ـ على اختراقها حتى فترة قريبة عندما بدأ تسليح الفضاء يتخذ صورة مكشوفة .

٣ ـ عسكرة الفضاء (تسليح الفضاء) .

المحاولة الدبلوماسية لمنع تسليح الفضاء .

خلال سنوات الستينات والسبعينات ، وعلى الرغم من تطور التكنولوجيا الفضائية لم تكن هنالك تحضيرات لحرب فضائية أو مشروع عسكرى ما يكون مجاله الفضاء ، فحتى أقمار التجسس العسكرى والمساعدات المعلوماتية التى تقدمها الأقمار الفضائية إلى القوات العسكرية على الأرض م تكن تدخل فى عداد عسكرة الفضاء .

وفى مجال القانون الدولى ظهرت فى سنوات الستينات بعض المعاهدات التى تمنع الاستخدام العسكرى للفضاء . ومع تطور الصناعة الفضائية لكلتا الدولتين الكبيرتين أبدت الولايات المتحدة استعداداً للاتفاق مع الاتحاد السوفيتى على « تحريم وضع القنابل فى المدارات » وكان وقتها نوعاً من التوازن الغريب بين الدولتين فالتفوق الفضائى للسوفيات يعادله الانتشار الواسع للقوات الأميركية فى مستعمراتها وتفشى قواعدها العسكرية ، هذا التوازن دفع الدولتين للتوقيع على « معاهدة استخدام الفضاء للأغراض السلمية فقط » عام ١٩٦٧ ، وكانت هيئة الأمم المتحدة صاحبة الاقتراح لهذه المعاهدة ، ففى عام ١٩٦٧ توصلت إلى صيغة اتفاقية تعهدت بموجبها دول العالم بعدم استخدام الأسلحة النووية فى المجال الفضائى الذى يصل مداه إلى القمر . ولم تمنع هذه

المعاهدة الطرفين العظيمين من تطوير أسلحته ووسائله الاستراتيچية الفضائية كل على حدة ، ومع أن بعض التقارير والدراسات قد صدرت فى المجلات الاستراتيچية والعسكرية المتخصصة حول تقنية تسليح الفضاء ، فإن المعلومات الواردة فيها تبقى ناقصة بسبب خضوعها للمراقبة ، وخاصة بما يتعلق بالدفاع ضد الصواريخ واستخدام سفن الفضاء المكوكية للأغراض العسكرية ، فإن هذه الاستخدامات قد منعت وفق معاهدة ثانية عقدت فى عام ١٩٧٢ ، ونصت على تخفيض منظومات الدفاع ضد الصواريخ وعدم إرسال أسلحة التدمير الشامل ، وفى عام ١٩٧٦ حدث اتفاق ضمنى على شكل اتفاقية بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوڤيتى تمنع وضع الأسلحة النووية داخل مدارات حول الأرض . ومنذ ذلك الوقت اختفى خطر استخدام الأقمار الاصطناعية ومركبات الفضاء لقصف الأرض بأسلحة تدمير شاملة . بيد أن اتفاقية ١٩٧٦ لم تمنع الطرفين من متابعة الأبحاث والاختبارات فى هذا المجال بسبب ديناميكية التقدم العلمى التقنى والشك المتبادل المسيطر على العلاقات السوفياتية الأمريكية وتصميم الطرفين على عدم التخلف فى مضمار الفضاء وعدم السماح للطرف الآخر بتحقيق فرق تكنولوچى يمنحه إمكانية احتكار السيطرة على الفضاء الخارجى ، ولذلك استمرت الأبحاث والاختبارات فى مختلف مجالات تسليح الفضاء عدا مجالى :

١ــ وضع الأسلحة نووية فى مدارات حول الأرض ، حسب الاتفاقية المعقودة فى ١٩٧٦ .

٢ــ ومجال تطوير الأسلحة المضادة للصواريخ البالستيكية (A B M) الذى يتنافى مع اتفاقية « سولت ــ ١) التى عقدها الزعيمان نيكسون و بريجنيف فى عام ١٩٧٢ ، ويتنافى مع البروتكول الخاص بتحديد الأسلحة الصاروخية الدفاعية الذى وقعه أندريه كروميكو وهنرى كيسنجر فى عام ١٩٧٤ .

ودخل الجانب الأوربى مبادرة عدم تسليح الفضاء عبر الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان الذى اقترح إنشاء « الوكالة الدولية لأقمار المراقبة »

. « Agence International de Sateellites de Controle

والهدف من إنشاء هذه الوكالة بالنسبة لفرنسا ومن ورائها أوربا مزدوج ، هو منح المجتمع الدولى فرصة لمراقبة تنفيذ المعاهدات القاضية بتحديد التسلح ولإمكانية إشراف هيئة الأمم المتحدة على

الأزمات العالمية المحتملة بين العملاقين ، والهدف الآخر هو إعطاء فرنسا والدول الأوربية دوراً فى المسرح العالمى فيما يتعلق بمسألة حرب الفضاء .

،من أهمية المعاهدات التى حصلت لتحديد الأسلحة الاستراتيچية النووية أو لمنع تسليح الفضاء هى :

ـ سالت ـ ١ S.A. L. T _1 (Strategie Arms Limitaion Talks _1)

(محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية) . ووقع عليها كل من نيكسون وبرجنيف عام١٩٧٢ .

ـ سالت ـ٢ S. A. L. T _2 . وقع عليها كل من الرئيس كارتر وبرجنيف عام ١٩٧٩ ولكنها لم تدخل حيز التنفيذ بسبب عدم تصديق الكونجرس الأمريكى عليها بسبب الغزو السوفياتى لأفغنستان .

ـ مفاوضات «ستارت» . وقد حلت من حيث التسمية محل سالت ـ١ و سالت ـ٢ وبدأت محادثاتها فى چنيف فى حزيران (يونيو) ١٩٨٢ وتوقفت فى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٣ بسبب إعلان الرئيس الأمريكى رولاند ريغان فى شهر آذار من العام نفسه « مبادرة الدفاع الاستراتيچى » المعروفة بـ« حرب النجوم » .

عمليات تسليح الفضاء .

منذ بدأت سنوات الستينات كانت نية الولايات المتحدة وضع مشاريع للدفاع العسكرى الفضائى، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق إلا خلال سنوات السبعينات عندما بدأت بتصميم المعترضات الفضائية بالرغم من توقيعها على عدة معاهدات حول عدم تسليح الفضاء . فقد تبدل الوضع فى السبعينات عندما أطلق الاتحاد السوفيتى عام ١٩٧١ المحطة الفضائية SALIOUT _1 ساليوت ـ ا وهى أول مختبر فضائى مأهول يمكنه البقاء فى الفضاء لمدة طويلة ، ومنذ إطلاق هذه المركبة بدأ رجال الفضاء السوفيات يقومون بشكل منظم بمهام معقدة وغير معروفة الهدف ظاهرياً

لكنها لغايات عسكرية حتماً . فقد أورد أحد التقارير الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة أن الدفعة الثانية من رحلات (ساليوت ـ ٢) قد التقطت أكثر من عشرين ألف صورة فوتوغرافية لمناطق مختلفة في العالم . فأطلقت الولايات المتحدة بدورها عام ١٩٧٣ مختبراً فضائياً عملاقاً هو المركبة سكاى لاب Skylab ، وكان من ضمن مهامه العديدة تنفيذ صور فوتغرافية للأرض بواسطة الأشعة تحت الحمراء وعن طريق الصور المرئية العادية . ثم قامت القوات الأمريكية بالتعاون مع أجهزة الاستخبارات بوضع برامج لدعم مجهودات وأعمال القوات العسكرية الموجودة على الأرض ، فى البر والبحر والجو . وينقسم هذا البرنامج إلى أربعة أنواع :

١ ـ أقمار الاستطلاع والمراقبة Reconnaissance

٢ ـ أقمار الإنذار المبكر Alerte Avancee

٣ ـ أقمار الاتصالات Telecommunication .

٤ ـ أقمار الملاحة Navigation .

وفى عام ١٩٧٢ صادق الرئيس نيكسون على مشروع إرسال سفينة فضاء قابلة للاسترجاع وقد صممت خصيصاً للأغراض العسكرية ، فهى قادرة على المناورة ، وذات قدرة واسعة على حمل الأشخاص والمعدات ، وإن أغلب استخدامات هذه السفينة مخصصاً للقوات المسلحة الأمريكية حتى عام ١٩٩٤ . وبذلك أصبح الفضاء مليئاً بالأجرام والمركبات والآلات الفضائية المتنوعة وبرواد الفضاء ذوى المهمات الكثيرة وبمئات الأقمار العسكرية التى تقوم بأعمال « الدورية » والمراقبة ، كما أن هنالك رادارات على الأرض تراقب دون توقف حركة هذه الأجرام . وعلى الرغم من أن عسكرة الفضاء قد زادت من أحتمال مواجهة عسكرية بين العملاقين إلا أنها قد ساعدت من جهة أخرى على تثبيت سياسة التعايش السلمى . وذلك أن المراقبة بواسطة الأقمار الاصطناعية جعلت من الممكن إجراء التحقق من تنفيذ التزامات عسكرية معينة ، وبالتالى توقيع معاهدات لتحديد أنواع معينة من الصواريخ كاتفاقيتى سالت ـ١ وسالت ـ ٢ . فالقمر الأميركى بك بيرد Big Bird الذى يزيد وزنه على ١٣ طناً يستطيع تأدية مهمتين مختلفتين : الأولى مراقبة واسعة للمناطق الأرضية على ارتفاع ٤٠٠ كيلو متراً والثانية مراقبة «قريبة» لتحركات معينة على مدى ١٥٠ كيلو متراً .

وهناك قمر آخر هو KH11 والذى يحمل اسم Key hole ويعمل بصورة أساسية لصالح وكالة المخابرات المركزية الأميركية C. I. A ويحلق على بعد عال هو ٦٠٠ كيلو متراً عن الأرض . وهناك أقمار على ارتفاعات أكبر (حوالى ٣٦٠٠٠ كيلو متراً) والخاصة بالإدارة المسماة « ببرنامج الدعم الدفاعى Defense Support program وتهتم بالدفاع المبكر وتراقب إطلاق أى صاروخ من الاتحاد السوفيتى أو من الصين مستخدمة الأشعة تحت الحمراء فى اكتشاف انطلاق الصواريخ . وكل المعلومات التى تنقلها الأقمار الأميركية تعالج على الأرض عن طريق ما يدعى « بمكتب الاستطلاع القومى » Nationd Reconnasance N . R . O Office وهذا المكتب سرى جداً وليس له مقر «رسمى» ولا يذكر اسمه أو أى شيء عن وجوده من قبل المسؤولين ، ويقال إن ميزانيته تعادل ضعف ميزانية وكالة المخابرات المركزية .

ولا تقل فعاليات الاتحاد السوفيتى فى مجال عسكرة الفضاء عن فعاليات الولايات المتحدة . فهناك المركبة الفضائية السوفياتية كوسموس ـ ١٤٤٥ Cosmos _1445 ويبلغ وزنها ١٥ طناً وهى مركبة فضائية غير مأهولة ولكنها يمكن أن تحمل راكباً أو اثنين فى المستقبل فهى تمثل أول طائرة اعتراضية فضائية فى النظام الحربى لما يدعى بـ « حرب النجوم » ويقوم السوفيات بتطوير مشروع آخر لمركبة فضائية قابلة للعودة إلى الأرض ، وقد شرع بعمل نموذج لهذه المركبة فى قاعدة Ramonskoye السوفياتية . وتذكر تقارير البنتاغون أن السوفيات سيتمكنون خلال السنوات خمس القادمة من إقامة محطة فضائية دائمة حول الأرض مزودة بالأسلحة وأجهزة المراقبة .

وللأهمية التى يمثلها موضوع علم الخرائط Cartographie للقوات العسكرية فقد أطلقت الكثير من الأقمار « الجيوديزية » لهذا الغرض . وتوجد أقمار عسكرية متخصصة فى إحداث التعديلات على محارك الصواريخ وعلى القيادة الساكنة للطائرات ، ثم تحديد موقع أى هدف عسكرى بدقة تصل إلى المتر الواحد . وبذلك تكون كل الوسائل التقنية الفضائية قد وضعت فى خدمة الأغراض العسكرية للقوتين العظميين بدءاً من الجرم الفضائى الجيوديزى Tetrahedron الذى لا يزيد وزنه على ٦٦٧ غراما وحتى أكبر قمر اصطناعى فى الفضاء، وهو القمر السوفياتى سليوت ـ ٧ Soliout _7 يهدف لإحكام السيطرة المشتركة لكلتيهما على الفضاء ، ثم بشكل آخر

على الأرض أيضاً ، ولذلك يطلق الأمريكيون العسكريون على الفضاء تسمية الحدود العليا High Frontier بعد أن أصبح بإمكانهم التنسيق العسكرى بين الفضاء والأرض .

لقد دخلت أشعة الليزر إلى الاستخدام الفضائى العسكرى فبشكل متواز مع دراسة الليزر وتطويره تقوم الدولتان العظيمتان بدراسة حزم أشعة الجزئيات ومكونات السلاح الألكترو ـ مغناطيسى ، لكن التقدم فى هذا المجال ما زال محدوداً ، الأمر الذى سيؤخر تطور الأسلحة الألكترو ـ مغناطيسية وأسلحة الجزئيات حتى مطلع القرن الحادى والعشرين إذا تحدث مفاجئة علمية تغير المعطيات الواقعية .

وحالياً ، يمكن تقسيم أسلحة الفضاء بشكل عام إلى أجيال ثلاثة :

ـ **الجيل الأول** : يتضمن الأقمار القاتلة والأقمار الخاطفة والصاروخ (A. S. A. T) المضاد للأقمار الاصطناعية ، والصواريخ المضادة للصواريخ الباليستيكية (A. B. M) .

ـ **الجيل الثانى** : يتألف من أسلحة لايزرية محمولة فى الوسائط الفضائية من أقمار وسفن فضاء ومركبات فضائية ، ويمكن أن تنضم إلى هذا الجيل أسلحة أخرى مثل المدافع اللايزرية الأرضية والكرات القاتلة Oursin .

ـ **الجيل الثالث** : يتضمن أشعة الجزئيات (أشعة الموت) والأسلحة الألكترو مغناطيسية ، وستدخل فى عداد هذا الجيل المدافع اللايزرية الأرضية والكرات القاتلة إذا لم يسمح التقدم العلمى ـ التكنولوجى بتطويرها مع أسلحة الجيل الثانى .

بهذه الأسلحة المعززة بشبكات متكاملة للرصد والملاحقة والاتصال ، والمعرضة لوسائل التشويش والخداع والتدابير الألكترونية المضادة ، وسيكون بوسع الدولتين العظميتين خوض الحرب الفضائية فى القرن الواحد والعشرين وإدارتها من مراكز قيادية فضائية محصنة ومطمورة تحت الأرض ومزودة بشاشات عرض الرادارات البعيدة و وسائط الاتصال والسيطرة و مجموعة من العقول الألكترونية القادرة على حساب مسارات الأهداف المعادية وتحديد عناصر رميها ، ونقل هذه العناصر وسائط الدفاع الفضائى الموجودة فى الفضاء أو على سطح الأرض أو تحت مياه البحار .

إن المهمة الأساسية للأقمار الصناعية فى مجال الاستخدام العسكرى هى الرصد والمراقبة

لأقاليم الخصم ، فهنالك أجرام فضائية أتوماتيكية تقوم بتقديم أشكال متعددة من المساعدة والدعم للقوات العسكرية ، كالقمر الأميركى I. D. C. S. P والقمر السوفياتى Molnia .

كما أن القوات الفرنسية سوف تقوم عبر إطلاقها للقمر الصناعى تيليكوم ـ Telecom١ بوضع وتنفيذ اتصالات فورية وغير متقطعة مع السفن الحربية الفرنسية ومع الأقاليم البعيدة ، وذلك بفضل نظام سيرانكوز Syrancase المقام على سطح هذا القمر .

أما فيما يخص موضوع الإنذار المبكر ، فى حالة اندلاع حرب نووية مفاجئة ، فإن الرادارات الأمريكية المقامة فى آلاسكا وغرو نلاند ، والرادارات السوفياتية المقامة كولا Kola و كومتشاتكا Kamtchatka تستطيع تقديم إنذار مبكر مدته ١٢ دقيقة بفضل إسنادها من قبل الأقمار الفضائية العسكرية للدولتين ، فى حالة هجوم إحداهما على الأخرى بالصواريخ العابرة للقارات .

٤ ـ حرب الفضاء (أو«حرب النجوم »)

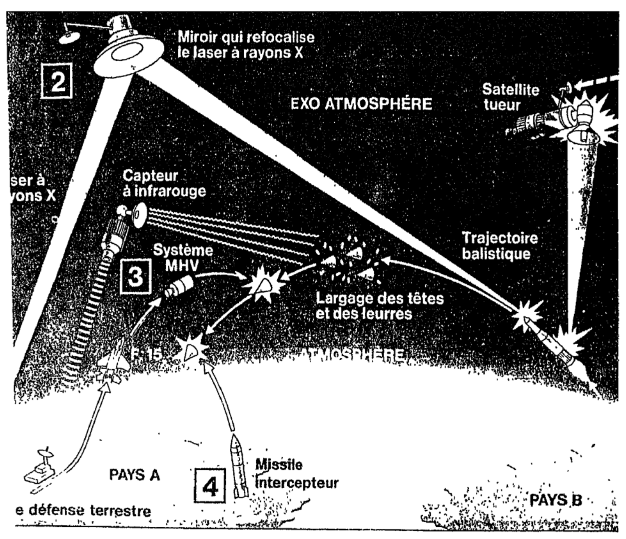
فى ٢٣ من آذار ١٩٨٣ ألقى الرئيس الأميركى رولاند ريغان خطاباً تاريخياً علي صعيد المعطيات الاستراتيچية الجديدة التى ولدها إذ افتتح عصراً جديداً فى تاريخ الحروب البشرية هو حرب الفضاء . أعلن ريغان في هذا الخطاب برنامجاً دفاعيا متقدماً يسمي

« مبادرة الدفاع الاستراتيچى » Strategic Defense Initiative = S. D. I

أو«مشروع الدفاع الفضائي » وتقضى هذه «المبادرة» بأن لا تقبل الولايات المتحدة ببناء أمنها القومى على استراتيچية الردع وحدها . والمعروفة تحت اسم استراتيچية « التدمير المتبادل الأكيد Mutual Assured Destruction

M. A. D. (بالفرنسية = Destruction mutuelle assuree)

بل من الواجب أن تبحث عن امتلاك وسائط أخرى قادرة على اعتراض الصواريخ النووية التى يطلقها العدو والقادرة علي تدمير الولايات المتحدة فى حالة عدم التلافى الدقيق والفعال لها . أى أن



تتم عملية الاعتراض جواً وقبل سقوط الصواريخ داخل الحدود الإقليمية. أى أن الوسائط الدفاعية التى يتوجب على الولايات المتحدة امتلاكها قادرة على خلق نظام مضاد للصواريخ النووية وداخل الفضاء نفسه وليس على الأرض ليحقق تدمير الصاروخ المهاجم قبل سقوطه . إن خطورة خطاب ريغان فى ٢٣ من آذار ١٩٨٣ تتمثل فى إعلانه الضمنى للفضاء كساحة حرب جديدة من ناحية ، وتعلن أيضاً تخلى الولايات المتحدة عن استراتيجية الردع التى تبنتها منذ عام ١٩٤٥ عندما ظهر الاتحاد السوفيتى كخصم استراتيچى لها .

وتلغى هذه المبادرة التفاصيل الاستراتيچية الأمريكية السابقة مثل « توازن الرعب النووى» التى

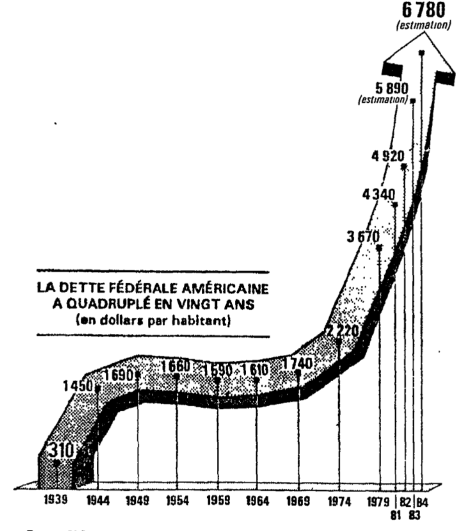
اتبعها الرئيس جيمى كارتر ، وكذلك « التدمير النووى المتبادل والأكيد » القاضية بأن كل طرف نووى قادر على أن يأخذ كرهائن عنده ، السكان المدنيين لخصمه ، يقوم كل طرف بتهيئة كل قدراته على مراقبة ضربة عدوه قبل أن يدمره تماماً الرد عليها بشكل أكثر فعالية وعنفاً . إن يقينية التدمير الكامل لكل طرف تجعل كلا منهما لا يجد أى فائدة بأن يكون البادىء بهجوم نووى فالمدن الرئيسية فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد تركت بدون دفاع فعال إزاء الصواريخ النووية للخصم، ولذلك تبقى أفضل طريقة لتحقيق هزيمة العدو هى الرد بشكل مباشر وبدون تردد على مدنه الرئيسية وتدميرها ، ويكون الدفاع أكثر فاعلية فى حالة التوصل إلى تدمير صواريخه النووية فى الجو وقبل بلوغ أهدافها الأرضية . وبهذا يكون الرئيس ريغان بمبادرته للدفاع الاستراتيجى قد تجاوز المنطق السابق فى الرعب النووى إلى إنتاج أقمار صناعية موجهة بأشعة الليزر ومركزة فى محطات مدارية ، فالاعتراض الجوى لصواريخ العدو لا يكون عبر قواعد صاروخية مثبتة فى الأرض فحسب ، بل بصواريخ وأسلحة اعتراضيه يكون منطلقها الفضاء أيضاً .

إن مبادرة ريغان نتيجة لطموحها العلمى المعتمد على تقنية عالية لحرب الفضاء قد جوبهت بسخرية وعدم تصديق وقد أطلقت عليها الصحافة الغربية اسم « حرب النجوم » أو «حرب مبادرة النجوم » والعبارة المذكورة مقتبسة من عنوان فيلم الخيال العلمي الشهير الذى أخرجة الأمريكى چورج لوكاس عام ١٩٧٧ تحت عنوان «حرب النجوم » Stars Wars التى تخيل فيه الصورة التى ستكون عليها الحروب المستقبلية بين البشر بعد التطور التقني العالي لأسلحة الفضاء و للمراكب الفضائية . لكن خطاب ريغان كان مبنياً على أساس علمى دقيق و لم يكن من بنات أفكار ريغان نفسه ؛ فقد سبق خطابه الهام فى آذار ١٩٨٣ تاريخ مهم آخر هو إحداث «قيادة الفضاء » Space command فى أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢ التى رُبطت بها إدارة خاصة بتحليل المعلومات الآتية من الأجرام العسكرية الأمريكية وهى الإدارة المعروفة باسم « قيادة أميريكا الشمالية الدفاعية للطيران والفضاء » Norad North American Aerospase Defense Command التى يقع مقرها فى كولورادو الأميريكية .

وبعد إعلان ريغان بدأت الخطوات الإدارية التنفيذية فقد دعت الحكومة الأمريكية الخبراء

والأخصائيين والمؤسسات التكنولوچية المتقدمة والهيئات العلمية الجامعية إلى المساهمة فى الأبحاث العلمية الخاصة ببرامج التطوير المتعلقة بالحسابات الألكترونية وأجهزة الكشف والمتابعة والأقمار الاصطناعية وكل ما يخدم جهود التسليح الجديدة التى تؤمّن التفوق الأمريكى فى الفضاء الخارجى

إن الأبحاث العلمية لهذه المؤسسات الضخمة قد أثمرت بعد مضى عام على إعلان ريغان لمبادرته الاستراتيچية ، فقد تحول المشروع إلى واقع فعلى بعد أن كان خيالاً فى نظر الكثير من المراقبين الاستراتيچيين . ففى العاشر من شهر حزيران (يونيو) ١٩٨٤ حققت الولايات المتحدة فى مجال التسليح ، إنجازاً تكنولوچياً هاماً ، يفتح فى ميدان العمليات الفضائية عصراً جديداً على جميع الأصعدة التكتيكية والاستراتيچية والسياسية . ففى ذلك اليوم أطلق الأمريكيون فوق المحيط الهادى صاروخاً من طراز « مينوتمان ـ ١ » ووضعوه على مسار فضائى ، وتمت عملية الإطلاق من قاعدة « فاندنبرغ » (فى كاليفورنيا) الواقعة على شاطىء المحيط الهادى والتى تعتبر أهم قاعدة أمريكية لاختبار الصواريخ البالستيكية . ولقد جرت عملية الإطلاق ووضع الصاروخ فى مساره بشكل عادى وكأنها رماية روتينية ، ولا سيما أن الصاروخ « مينوتمان ـ ١» مطور منذ عشرين عاماً. وبعد



Source : *U.S. News & World Report*, 14 mars 1983.

انفصال طبقتى رفع الصاروخ الأولى والثانية ، تابعت الطبق الثانية ، المزودة برأس ، مسارها البالستيكى فى الفضاء خارج الجو الأرضى ، متجهة نحو النقطة المحددة لوصولها وسط المحيط ولكنها انفجرت قبل بلوغ تلك النقطة بعد أن صدمها صاروخ صغير متطور انطلق من قاعدة اختبارات أميركية تقع فى جزيرة ميك (من أرخبيل كواجالين فى المحيط الهادى) . وكان الصاروخ الصغير قد انطلق بعد إطلاق « مينو تمان ـ ١ » بعشرين دقيقة ثم تخلص من محركاته الدافعة واتجه رأسه الحربى إلى « مينو تمان ـ ١ » وقطع عليه الطريق ، وبفضل نظام التوجيه النهائى المتطور الذى يحمل الرأس الحربى ، استطاع الصاروخ الصغير ملاقاة الصاروخ « الهدف » وتدميره بالصدمة المباشرة على ارتفاع ١٨٠ كيلو متراً فى الفضاء الخارجى (ستراتوسفير) . وكانت سرعته فى المراحل النهائية من التعقب ٢٥ ألف كيلو متراً فى الساعة .

فى حالة مشروع « مبادرة الدفاع الاستراتيچى » I. D. S ، موضع التنفيذ ، يمكن لعملية الاعتراض الفضائى ضد الصاروخ المعادى أن تتحقق عبر أربع مراحل خلال الأطوار المختلفة الثلاثة لتقدم الصاروخ المُهاجم داخل الفضاء .

١ ـ مرحلة التصاعد والارتفاع .

٢ ـ أثناء مرحلة الطيران نفسها .

٣ ـ أثناء المرحلة الثانية لطيران الصاروخ .

٧ ـ خلال المرحلة الأخيرة لطيران المُهاجم .

كما يتضح فى الرسم . الدولة (B) مهاجمة ، و الدولة (A) مدافعة عبر نظام الصواريخ المضادة جواً ، أو أسلحة الاعتراض الصواريخ البالستيكية النووية ، حسب نظام الدفاع الاستراتيچى .

لقد كان هذا الاختبار من الناحية التقنية إنجازاً ضخماً فلأول مرة فى التاريخ يتمكن صاروخ من اعتراض صاروخ بالستيكى إبان التحليق . والحقيقة أن الأمريكيين قد استخدموا فى عملية الاعتراض سلاحاً عادياً ، مجرد صاروخ . صحيح أن هذا الصاروخ كان محسناً وأن رأسه مزود

بنظام توجيه ذاتى مقارب يتمتع بدقة عالية جداً إلا أنه لم يكن أكثر من سلاح مستخدم منذ مدة طويلة ومعدل لأغراض اعتراض الصواريخ البالستيكية ، ومن المؤكد أن الأمريكان لم يدخلوا على السلاح تعديلات دقيقة ومتقدمة لمجرد إظهار مقدرتهم التقنية العالية ، بل لأن همهم المستقبلى المخصص لتدمير الصواريخ إبان مدة التحليق يعتمد منذ الآن على تكنولوچيا وأسلحة تختلف تماماً عن السلاح الذى حقق هذا الإنجاز الضخم فى يوم ١٠ / ٦ / ١٩٨٤ .

إن هذا النجاح هو بداية لمشروع أسلحة فضائية جديدة . فقد قررت الولايات المتحدة إنشاء نظام مضاد للصواريخ مؤلف من أربعة أنساق (أو طبقات) ، وأن إعداد النسق (أو الطبق) الأول سيكون قبل العام ٢٠٠٠ ، والأنساق الأربعة هى :

ـ **النسق الأول** : ويتألف من محطات فضائية مسلحة بمدافع لايزرية كيمائية مهمتها تدمير الصواريخ إبان انطلاقها فى المرحلة الأولى من تحليقها .

ـ **النسق الثانى** : يتألف من مدافع أرضية لإطلاق حزم الجزئيات ومرايا عاكسة فضائية، ومدافع الكترو ـ مغناطيسية محمولة على الأقمار الاصطناعية . ومهمة هذا النسق تدمير الصواريخ إبان تحليقها فى الفضاء وقبل إطلاق رؤوسها النووية .

ـ **النسق الثالث** : مهمته التصدى للصواريخ المعادية فى المرحلة النهائية من مسارها ، وعندما تبدأ الاستعداد لإطلاق رؤوسها النووية نحو أهدافها . ويتألف هذا النسق من صواريخ الكرات القاتلة وتحمل كل كرة فى داخلها حشوة نووية صغيرة تنتج عند انفجارها أشعة لايزرية تخرج من أنابيب الانطلاق الموجودة على سطح الكرة القاتلة وتنتشر فى الفضاء فى جميع الاتجاهات مدمرة الصواريخ المعادية و رؤوسها .

ـ **النسق الرابع** : ويتألف من صواريخ مضادة للصواريخ ومدافع أرضية تطلق أشعة الموت

ومهمة هذا النسق تدمير الرؤوس النووية أو الصواريخ التى تخترق الأنساق الدفاعية السابقة .

إن هذه المنظومات العسكرية الفضائية الجديدة قد غيرت كل المعطيات الاستراتيجية التقليدية وفرضت على الاتحاد السوفيتى ضمنياً تغير منظومة أسلحته الفضائية الاستراتيجية السابقة والدخول فى سباق تسليح جديد سيرهق الميزانية الاقتصادية للبلدين.

اقتصاديات حرب الفضاء :

لا توجد أرقام رسمية معلنة فيما يخص الميزانية العسكرية السوفياتية ومشاريع تطوير أسلحتها الفضائية ، ففى طبيعة السياسة السوفياتية التكتم الشديد حول هذه المسائل . إلا أنه أعلن بشكل عام رفع الميزانية العسكرية خلال الأشهر الأخيرة من ١٩٨٤ . أما فيما يخص الميزانية العسكرية الأمريكية ولا سيما تطوير الأسلحة الاستراتيجية الجديدة . فقد حصل ارتفاع عالٍ جداً ومفاجىء فى الميزانية العسكرية الأميركية حالما دخل ريغان البيت الأبيض كرئيس للجمهورية . فالفوارق التصاعدية بين المعدلات القصوى للميزانية العسكرية لم تكن كبيرة قبل ولاية ريغان . ولكنها تصاعدت إلى حوالى الضعف فى بداية الثمانينات ثم تجاوزت الضعف بعد إعلان مشروع « حرب النجوم » .

ويعتبر العام ١٩٨٢ بالنسبة إلى مشروعات الدفاع الفضائية الأمريكية التابعة للبنتاغون ، عاماً هاماً إذ خصص لهذه المشروعات العسكرية ميزانية تفوق بكثير المشروعات الفضائية المدنية لوكالة NASA إذ بلغت اعتمادات عسكرة الفضاء ٥٨٢٤ مليون دولار .

واعتباراً من عام ١٩٨٣ بعد إعلان « مبادرة الدفاع الاستراتيجى » بلغت الاعتمادات العسكرية أكثر من ١٠٠٠ مليون دولار عن العامين السابقين . فقد كانت ٤٣٤٠ مليون دولار للعام ١٩٨١ وأصبحت ٥٨٩٠ مليون دولار للعام ١٩٨٣ .

ثم حققت زيادة حوالى ١٠٠٠ مليون دولار فى العام ١٩٨٤ بعد نجاح تجربة اعتراض

الصواريخ البالستيكية فى ١٠ من حزيران ١٩٨٤ ، وضمن الميزانية العسكرية الشاملة خصصت اعتمادات مستقلة لبناء النظام المضاد للصواريخ والمؤلف من أربعة أنساق (طبقات) ، فبناء هذه المنظومة يتطلب إنفاق ٢٧ مليار دولار خلال خمسة أعوام ، اعتباراً من العام ١٩٨٤ تاريخ نجاح محاولة اعتراض الصواريخ الفضائية . ويمكن الاكتفاء بإنفاق ١٨ ـ ٢٦ مليار دولار ، لكن الإنجاز سيتأخر فى هذه الحالة إلى ما بعد العام ٢٠٠٠.

وستتضاعف الميزانية العسكرية الأمريكية خلال السنوات القليلة القادمة بسبب المتطلبات المستمرة لأسلحة الفضاء المتطورة . و الرسم البيانى التالى يوضح التصاعد الحاصل فى ميزانية الاعتمادات العسكرية الأمريكية .

مراجع الفصل الرابع

١ ـ المراجع الأجنبية

2226, 1067 du 19 Avril 1985. p 51.

- DHOMBRES DOMINIQUE: "La Rencontre Gromyko-Shultz du 14 Mai. Sovietiques et Americains Accelerent la reprise de leur dialogue". no 12504.
- EGE KONRAD: "Budget et defense ou budget de guerre". Le monde diplomatique no 349. Avril 1983. p 1. p 6.
- FONTAINE André: "La guerre froide dans l'espace. I - A La vitesse de la lumiere". Le Monde no du 13 Juillet 1984. p 1. p 2.
- FONTAINE André: "La guerre froide dans l'espace. II- une deuxieme course aux Armements". Le Monde no du 14 Juillet 1984.
- GUETTA BERNARD: "Reagan envisage de freiner les depenses militaires." Le Monde no 12392 du 30 Novembre 1984. p 1. p 41.
- GUETTA BERNARD: "Guerre des etoiles. Fermete a Washington" Le Monde no 12419 du le Janvier 1985. p 1. p 4.
- GUETTA BERNARD: "Satisfaction a Washington: Mr Gorbatchey accepte l'idee d'un sommet avec Mr Reagan". Le Monde no 12496. 3 Avril 1985. p 1.
- JULIFN CLAUDE: "La paix selon Mr Reagan". Le Monde Diplomatique No 347. Février 1983. p 1, p 10-11.
- JULIFN CLAUDE: "Securite Militaire et Technologie". Le Monde Diplomatique no 375. Juin 1985. p 1. p 13.
- LAURENT ERIC: "Gurre des Etoiles, ce que la France risquerait". Le Nouvel Observateur no M2226, 1067 du 19 Avril 1985. pp 44-46.
- LAURENT ERIC: "G uerre des Etoiles, ce que la France risquerait". Le Nouvel Observateur no M2226, 1067 du 19 Avril 1985. pp 44-46.
- LELLOUCHE PIERRE: "Armes de l'espace: L'Europ-hors jeu". Le point no 630. 15 Octobre 1984. pp 78-81.
- LEMAITRE PHILIPPE: "Guerre des etoiles et technologie". Le Monde no 12510 du 19 Avril 1985. p 1. p 3.
- LE MONDE: "Les enjeux de l'espace". Le Monde Dossiers et Docume-

nts Numéro Spécial 18 Pages. no 119. Février 1985.

- LE MONDE: "La France et la geurre de etoiles". no 12453. 12 Février 1985. p 1.
- LE MONDE: "Washington Marque de points". No 12468. ler Mars 1985. p 1.
- LE MONDE: "Les Allemands et la guerre des ftoiles". no 12499 du 6 Avril 1985 p 1.
- SAMALRIC JACQUES: "La guerre des etoiles". paris voudrait unif

er les positions européennes face aux Etats-Unis. Le Monde no 12486 du 22 Mars 1985. p 1. p 6.

- SCHLOSSER FRANÇOIS: "Guerre: Les Armes qui vont tout changer". Le Nouvel Observateur No M2228, 1043 du 2 Novembre 1984. p 94. p 98.
- SCHLOSSER JACQUES: "Guerr des etoiles". Le Nouvel Observateur No M2226, 1067 du 19 Avril 1985. p 42.
- TATU MICHEL: "Le debat sur la guerre des etoiles". Le Monde no 27 Avril 1984. p 1. p 5.
- TULARD JEAN: "Dictionnarie du Cinema". Premier Volume. Les Réalisatours. Edition

٢ ـ المراجع العربية :

١ـ استراتيجيا : (وسائط الحرب الفضائية) ، استراتيجيا ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ ، ص ٥٢ـ ٥٥

٢ ـ الأيوبي ، المقدم الهيثم : (حرب الفضاء المستقبلية و أسلحتها) ، استراتيجياً ، العدد ٣٠، آب ١٩٨٤ ، ص ٤٧ ـ ٥١ .

٣ ـ بسام ، حسن : (حرب الفضاء على أبواب الأرض) ، استراتيجياً ، العدد ٦ ، نيسان ١٩٨٢ ، ص ٦٧ ـ ٧٤ .

٤ ـ بوى ، الجنرال جورج : (النظام المضاد للصواريخ فى حرب النجوم) ، استرتيجياً ، العدد ٣١ ، ايلول ١٩٨٤ ، ص ٧٨ ـ ٨٤ .

٥ ـ الحسينى ، مصطفى : (قراءة فى الميزانية العسكرية الأمريكية ، استراتيجية ريغان والتوازن الدولى) ، اليوم السابع ، العدد ٥٢ ، ٦ ايار ١٩٨٥ ، ص ٣١ ـ ٣٣ .

٦ ـ دبغى ، جنان : (الرئيس الأمريكى يكّفر عن ذنوبه الليبرالية) ، اليوم السابع ، العدد ٥١ ، ٢٩ نيسان ١٩٨٥ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ،

٧ ـ رحال ، طلعت : (لماذا يريد ريغان لقاء غوربتشيف ؟) ، النهار العربى والدولى ، العدد ٤١٥ ، ١٥ نيسان ١٩٨٥ .

٨ ـ الزعيم ، د . عادل : (مسرح الحرب الفضائية) ، استراتيجياً ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ ، ص ٥٧ ـ ٦٠ .

٩ ـ سمارة ، مها : (التصوير بين واشنطون وموسكو والتطهير فى لبنان بين سوريا واسرائيل)، النهار العربى والدولى ، العدد ٤٠٥ ، ١٠ شباط ١٩٨٥ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

١٠ ـ السيد ، اللواء محمد سميح : (الاستخدام العسكرى للفضاء) ، استراتيجيا ، العدد ٧ ، ايار ١٩٨٢ ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

١١ ـ شريف ، رياض : ("عربسات" قمر الاتصالات العربية ، أول خطوة عربية فى الفضاء)، اليوم السابع ، العدد ٣٩ ، ٤ شباط ، ١٩٨٥ ، ص ٤ ـ ٦ .

١٢ ـ لحام ، فلورا : (الوضع الدولى زاد تعقيداً بعد « حرب النجوم ») . اليوم السابع. العدد ٥٢ ، ١٣ ايار ١٩٨٥ ، ص ٢١ .

١٤ ـ (محادثات جنيف بين المتفائلين والمتشائمين ، إنهم يسلمون السماء) . الكفاح العربي .
العدد ٣٤٠ ، ١٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ ص ٣٥ ـ ٣٦ .
١٥ ـ يونس ، أنور : (محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، أين تقف اوربا الغربية) .
اليوم السابع . العدد ٣٨ . ٢٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ . ص ٢٧ ـ ٢٩ .
١٥ ـ يونس ، أنور (الولايات المتحدة الأمريكية ، صاروخ التفاوض) ، اليوم السابع العدد ٤٨،
٨ نيسان ١٩٨٥ . ص٢٥ .

مراجع الكتاب

المراجع العربية :

ـ استراتيچيا ، (وسائط الحرب الفضائية) ، استراتيچيا ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ .

ـ آغا ، حسين . احمد سالم الخالدى . قاسم جعفر : « إسرائيل ، العقيدة العسكرية وشؤون التسلح » سلسلة الدراسات الاستراتيچية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٨٢

ـ آغا حسين ، أحمد سالم الخالدى . قاسم جعفر : (بعض مسائل الصراع العربى الاسرائيلى) سلسلة الدراسات الاستراتيچية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٢ .

ـ آغا حسين . أحمد سالم الخالدى . قاسم جعفر : (قضايا فلسطينية) سلسلة الأبحاث الاستراتيچية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .الطبعة الأولى ١٩٨٢ .

ـ آغا ، حسين . أحمد سامح الخالدى . قاسم جعفر : (القوة العسكرية الأسرائيلية) سلسلة الدراسات الاستراتيچية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٨٢ .

ـ الأيوبى ، المقدم الهيثم : (حرب الفضاء المستقبلية وأسلحتها) ، استراتيچيا ، العدد ٣٠ ، آب ١٩٨٤ .

ـ بسام ، حسن : (حرب الفضاء على أبواب الأرض) ، استراتيچيا ، العدد ٦ ، نيسان ١٩٨٢

ـ بوى ، الجنرال چورچ : (النظام المضاد للصواريخ فى « حرب النجوم ») استراتيچياً ، العدد ٣١ ، أيلول ١٩٨٤ .

ـ تروتسكى ، ليون : (مختارات من الكتابات العسكرية) ، تعريب أكرم ديرى والمقدم الهيثم الايوبى . دار الطليعة . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٧١ .

ـ الحسينى ، مصطفى : (قراءة فى الميزانية العسكرية الأمريكية ، استراتيچية ريغان والتوازن الدولى) ، اليوم السابع ، العدد ٥٢ ، ٦ أيار ١٩٨٥ .

ـ دبغى ، جنان : (الرئيس الأمريكى يكفر عن ذنوبه الليبرالية) ، اليوم السابع العدد ٥١ ، ٢٩ نيسان ١٩

ـ ربيع ، حامد : (نظرية الأمن القومى العربى والتطورات المعاصرة للتعامل الدولى فى الشرق الاوسط) . دار الموقف العربى . القاهرة ١٩٨٤ .
ـ رحال ، طلعت : (لماذا يريد ريغان لقاء غوربتشف ؟) . النهار العربى والدولى العدد ٤١٥ ، نيسان ١٩٨٥ .
ـ الزعيم ، عادل : (مسرح الحرب الفضائية) ، استراتيجيا ، العدد ٣٠ ، أب ١٩٨٤ .
ـ سمارة ، مها : (التصوير بين واشنطون وموسكو والتطهير فى لبنان بين سوريا وإسرائيل) ، النهار العربى و الدولى . العدد ٤٠٥ ، ١٠ شباط ١٩٨٥ .
ـ السيد ، اللواء محمد سميح : (الاستخدام العسكرى للفضاء) . استراتيجياً ، العدد٧، ايار ١٩٨٢ .
ـ شريف ، رياض : (« عربسات » قمر الاتصالات العربية ، أول خطوة عربية فى الفضاء) ، اليوم السابع ، العدد ٣٩ ، ٤ شباط ١٩٨٥ .
ـ عزمى ، محمود : « نظرية الأمن الإسرائيلى ، الجذور والتطبيقات الأولى ، ١٩٨٤ ـ ١٩٥٦) ، مجلة الفكر الاستراتيچى العربى ، العدد الأول ، تموز (يوليو) ١٩٨١ .
ـ قاسم محمد جعفر : (ميزان القوى العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥) . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٥ .
ـ الكفاح العربى : (محادثات چنيف بين المتفائلين والمتشائمين ، إنهم يسلحون السماء). الكفاح العربى ، العدد ٣٤٠ ، ١٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ .
ـ كيلانى ، هيثم :(الجديد فى المذهب العسكرى الإسرائيلى) منشورات مجلة الفكر العسكرى . دمشق ١٩٨١ .
ـ لحام ، فلورا : (الوضع الدولى زاد تعقيداً بعد «حرب النجوم») ، اليوم السابع . العدد ٥٣ ، ١٣ أيار ١٩٨٥ .
ـ لينين . ف . أ : (نصوص حول المسائل العسكرية) . تعريب المقدم الهيثم الايوبى . دار الطليعة . بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ .
ـ ماو تسى تونغ : (مؤلفات مختارة) . دار النشر باللغة الأجنبية . أربعة مجلدات ، بكين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٣ .
ـ مجموعة العسكريين والسياسيين الإسرائليين : (أمن إسرائيل فى الثمانينات) كتاب محدود التوزيع . مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت ١٩٨١ .

ـ مجموعة من الكتاب السوفيات : (لينين والعلم العسكرى) . دار الفارابى بيروت ١٩٧٣ .
ـ موريز ، اريك : (مدخل إلى التاريخ العسكرى) . تعريب أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩ .
ـ يونس ، أنور : (محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، أين تقف أوربا الغربية) . اليوم السابع العدد ٣٨ ، ٢٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٥ .
ـ يونس ، أنور : (الولايات المتحدة ، صاروخ التفاوض) . اليوم السابع . العدد ٤٨ ، ٨ نيسان ١٩٨٥ .

المراجع الاجنبية

- Andren (N.): " The international Development Prospects Towards The 199's". Edition Stockholm: Swedish Ministry of Defence. 1974.

- Aronson (Shlomo): " Conflict Bargaining in the Middle East". Baltimore, MD, Johns Hopkins University Press. 1978.

- Bar (Uri Joseph): " The Entry of Nuclear Weapons to the Middle East." Hebrew University. Jerusalem 1981.

- Beaton (Leonard): " Must the Bomb Spread". Penguin. 1966.

- Beaure (A.): " Crises et Guerres". Editions Presses de la Cite. Paris 1974-

- Beaure (A.): " La Guerre Revolutionaire, Les Formes Nouvelles De La Guerre". Editions Fayard, Paris 1972.

- Beaure (A.): " Memoire, 1920 - 1940 - 1945". Editions Presses de la Cite, Plon. Paris. 1950.

- Beaufre, general Andre: " Strategie et l'action ", ed,

- Beaufre: " Strategie pour demain; les proplemes militaires de la guerremoderne". ed. Plon. Paris 1972.
- Beaufre, general Andre: " Dissuasion et strategie". ed, A. Colin, Paris 1964.

- Buis GEORGES " Quatre Barrage Dans le ciei " . Le Nouvel Observateur No M 2226, 1067 du 19 Avril 1985 . p 51 .

- CHARNAY (JEAN-PAUL): "Essai General de Strategie". Editions Champ Libre. Paris 1973.

- CHARNAY (JEAN-PAUL): "Logique socio-strategique au proshe-orient". Politique étrangère. Volume 39. No 5. 1973.

- CHARNAY (JEAN-PAUL): "Principes de Strategie Arabe". Editions de l'Herne. Paris. 1984.

- CHARNAY (JEAN-PAUL): "Technique et Geosociologie, Guerre eu rif le nucleaire en orient." Editions Anthropos. Paris. 1984.

- DHOMPRES (DOMINIQUE): "La rencontre Gromyko-Shultz du 14 Mai. Sovietiques et Americains accelerent la reprise de leur Dialogue". No 12504.

- DORMAN (JAMES. E.): "United States Natonal Security Policy in the Decade Ahead". Edition N.Y. Crane. Russak. 1978.

- DOWTY (ALLEN): "Israel's Nucleap Policy, Policy science quarterly". 1976.

- EGE (KONRAD): "Budget et Defense ou pudget de Guerre". Le Monde diplomatique no 349. Avril 1983. p1. p6.

- FONTAINE (André): "La Guerre Froide dans l'espace. I- A la vitesse de la lumiere". Le Monde No du 13 Juillet 1984. p1. p2.

- FONTAINE (André): "La Guerre Froide dans l'espace. II-une deuxieme course aux Armements". Le Monde no du 14 Juillet 1984.

- GLUCKSMAN (André): "Le discours de la Guerre". Editions de

l'Herne. 10/18. Paris. 1974.

- GUETTA (Bernard): "Guerre des Etoiles Eremets a Washington". Le Monde No 12419 du 1er Janvier 1985. p1. p4.

- GUETTA (Bernard): "Reagan Rnvisase de Freiner les Berenses Militaires". Le Monde No 12392 du 30 Novembre 1984. p1. p41.

- GUETTA (Bernard): "Satisfaction a Washington: Mr Gorbatchev Accerte L'idee d'un sommet avec Mr Reagan". Le Monde No 12496. 3 Avril 1985 p1.

- GUIBERT: "Strategieques". Editions de l'Herne. Paries. 1977.

- HORTON (F.B.), POGERSON (A.C.), WARNER (E.L.): "Comparative Defense Policy". John Hopkins University Press. 1974.

- JABERT (Fouad): "Israel and Nuclear Eapons". International institute for strategic studies. London. 1971.

- JPNNERGREN (C.G.): "Trends in Planning". Stockholm Swedish National defense research institute. 1977.

- JERVIS (Robert): "The Logic of Image in International Relations". Princeton University Press. 1970.

- JREVIS (Robert): "Perception and Misperception in International Politics". "Princeton University Press. 1976.

- JULIFN CLAUDE: "La paix selon Mr Reagan". Le Monde Diplomatique No 347. Février 1983. p 1, p 10-11.

- JULIEN (Claude): "Securite Militaire Et Technologie". Le monde diplomatique No 375 de Juin 1985. P1. P3.

- LAURENT (Eric): "Guerre des Etoiles, ce que la France Risquerait". Le Nouvel Observateur No M 2226, 1067 du 19 Avril 1985. pp 44-46.

- LELLOUCHE (Pierre): "Armes de L'espace: L'Europe Hors Jeu". Le

point No 630. 15 Octobre 1974. pp 78-81.

- LEMAITRE (Philipps): "Guerre des Etoiles et Technologie". Le Monde No 12510 du 19 Avril 1985. p1. p3.
- Liddell Hart, B.H: " History of the first World War". ed. Cassell, London 1970.6- Liddell Hart, B.H: " Memoire", Traduit de l'anglais par Jean-Paul Constautin, ed Fayard Paris 1970.
- Liddell Hart: " The Red Army - 1981 to 1945, The Soviet Army - 1964 to the present:. ed, Harcourt Brace and Company, New York 1956.
- Mao Tse-Toung: " Ecrits militaires", Editions en langues etrangeres. Premiere edition de poche. Pekin 1969.
- LE MONDE: "La France et la geurre de etoiles". no 12453. 12 Février 1985. p 1.
- LE MONDE: "Les Allemands et la guerre des ftoiles". no 12499 du 6 Avril 1985 p 1.
- LE MONDE: "Washington Marque de points". No 12468. ler Mars 1985. p 1.
- Palmer, Bruce: " Grand strategy for the 1980s". Washington, DC: American Enterprise institute for public policy Research. 1978
- Pauker (Guy J.): " Military implications of a possible word order crisis in the 1980s". ed, Santaa Monica, The Rand Corporation. R-2003-AF, November 1977.
- SAMALRIC JACQUES: "La guerre des etoiles". paris voudrait unif

er les positions européennes face aux Etats-Unis. Le Monde no 12486 du 22 Mars 1985. p 1. p 6.
- Synder, Glenn H. and Siesing, P: " Conflict Among Nations, Bargaining, Decision making and system structure in international crises". ed, Priceton University Press. Princeton 1977.

- SUN TZU: "L'art de la guerre". Traduit de l'anglais par Francis Wang. éd, Flammarion, Pris 1972.

- SWINSON, A.: "Singapour, Foudroyante victoire Japonaise". éd Mara bout. Paris 1971.

- SCHLOSSER Jacques: "Guerre: Les Armes qui vont tout changer". Le Nouvel Observateur No M2228, 1043 du 2 Novembre 1984. p 94. p 98.

- SCHLOSSER FRANÇOIS: "Guerre: Les Armes qui vont tout changer". Le Nouvel Observateur No M2228, 1043 du 2 Novembre 1984. p 94. p 98.

- SCHLOSSER JACQUES: "Guerr des etoiles". Le Nouvel Observateur No M2226, 1067 du 19 Avril 1985. p 42.

- TATU MICHEL: "Le debat sur la guerre des etoiles". Le Monde no 27 Avril 1984. p 1. p 5.

- TULARD JEAN: "Dictionnarie du Cinema". Premier Volume. Les Réalisatours. Edition Robert Laffon paris 1982 . p 445 .

- VAN CLEAVE (WILLIAM) and SCOTT THOMPSON "Strategic options for the early Eigthies, what can be done?". éd, N.Y National strategic information centre, 1979.

المحتويات

إصدارات دار الصلاح

١ ـ الخمينيون	مجموعة من المؤلفين
٢ ـ محاكمة دكتاتور	مجموعة من المؤلفين
٣ ـ سفاح بغداد	عاطف النمر
٤ ـ المتآمرون	مجموعة من المؤلفين
٥ ـ الأمن القومى للخليج العربى	د . رضا فودة
٦ ـ حرب الفضاء ونظرية الأمن الإسرائيلى	د . علاء طاهر
٧ ـ السلام الشامل أو الدمار الشامل (تحت الطبع)	د . ممدوح عطية . د . عبد الفتاح بدوى

رقم الايداع ـ ٥٨٣٦ / ١٩٩١

حَربُ الفضاء ونظريّة الأمن الإسرائيلي

هذا الكتاب

يضم هذا الكتاب أربعة بحوث تتناول موضوعات استراتيچية وعسكرية خاصة بالصراع العربى الإسرائيلي وذلك فى ضوء التطور التقنى الذى بلغته العلوم الإستراتيچية المعاصرة .

يتناول المبحث الأول البعد النظرى فى تحديد المضامين التقنية لمصطلحات جديدة فى العلم الإستراتيچى المعاصر ، كما يتضمن إعادة تحديد لمفهوم الإستراتيچية نفسه .

أما المبحث الثانى فهو خاص بمبادىء الإستراتيچية العربية كما يراها عالم الاستراتيچيا جان بول شارنيه حيث يقدم تقويماً دقيقاً يمتد إلى العمق التاريخى والدينى للوطن العربى .

ويهدف المبحث الثالث إلى إبراز الأسس التى تقوم عليها نظرية الأمن القومى الإسرائيلى كما تجسدها التطبيقات العملية لها . كما يتناول مفهوم الأمن القومى الإسرائيلى لدى المتخصصين الأستراتيچيين الإسرائيلين

أما المبحث الرابع الخاص بالحرب الفضائية ، فهو يبرز الحدود القصوى لرقى تكنولوچيا الأسلحة الإستراتيچية والتطور الذى بلغته وخاصة بعد إنضمام إسرائيل الى مشروع (مبادرة الدفاع الإستراتيچى) التى اشتهرت باسم حرب الفضاء .

أما مؤلف الكتاب د . علاء طاهر فهو باحث بمركز البحوث الإستراتيچية بجامعة السربون فى باريس وهو أحد المتخصصين العرب القلائل فى ميدان العلوم الإستراتيچية .

